

العيش بالتفلسف عند شوبنهاور ونييتشه

أ.م.د/ دعاء محمد عبد النظير حماد^(١)

الملخص باللغة العربية:

لم تعد الفلسفة مجرد تأمل نظري، بل امتدت لتصبح فلسفة تطبيقية لها أعظم الأثر على توجه تفكير الإنسان نحو العيش بالتفلسف، أو ما يسمى بالعيش الجيد، ذلك التفكير الذي يوجه الإنسان في كافة المستويات: العقل والسلوك وتنظيم الحياة. وقد أعطى شوبنهاور إرادة الحياة أهمية كبيرة، وهنا يتضح مفهوم العيش بالتفلسف (العيش الجيد) لدى شوبنهاور، وهو أن نتخلى عن هذا التعلق بما نريد، ولذا يدعو شوبنهاور لفن التخلي (اللاتعلق). وكما يرى شوبنهاور أن الحياة ألم ومعاناة، وكلما زاد الألم، زادت طاقة الحياة. والسعادة هي محاولة التقليل من الألم. فمن الحكمة أن يقنع المرء برجاء السعادة، لا أن يطمح في حصولها. أما نييتشه فإن الحياة عنده إرادة حياة، متمثلة في الحب والطموح والإبداع، كما أن إرادة القوة هنا بالمعنى الأخلاقي الذي يزيد من رغد العيش. ولكنه يتفق مع شوبنهاور في رؤية الحياة على أنها ألم ومعاناة، وأنها كلما جهدنا أكثر في محاولة الاستمتاع بها، سترداد عبوديتها لها، وأن فن العيش الجيد يسعى إلى التحرر من الألم، لا إلى السعادة. ولكنه اختلف مع شوبنهاور في أنه على الرغم من وجود ألم، فإن هذا لا يعني إنكار الحياة، بل تأكيدها. من هنا كان العيش بالتفلسف (العيش الجيد) عند شوبنهاور ونييتشه يتمثل في التأقلم مع الألم والمعاناة، وهذا لا ينفي وجود الحب والطموح والإبداع، ومن هنا فإن العيش الجيد يعلمنا كيف نعيش الحياة.

كلمات مفتاحية:

الفلسفة التطبيقية - العيش بالتفلسف - العيش الجيد - آرثر شوبنهاور - فريدريك نييتشه - إرادة الحياة - الألم - الملل - الطموح - الإبداع - الإنسان الأعلى (المتفوق) - أخلاق السادة - أخلاق العبيد - التشاؤم - السعادة - المأساة - الانتصار على الحياة - فن التخلي (اللاتعلق).

Living Philosophically According to Schopenhauer and Nietzsche

(١) أستاذ مساعد الفلسفة الحديثة والمعاصرة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

Abstract:

Philosophy is no longer just a theoretical contemplation, but has expanded to become an applied philosophy that has the greatest impact on the direction of human thinking towards living philosophically, or what is called good living, that thinking that guides man at all levels of mind, behavior, and life organization. Schopenhauer gave great importance to the will to live, and here the concept of living philosophically is clear to Schopenhauer, which is to give up this attachment to what we want, and therefore Schopenhauer calls for the art of abandonment (non-attachment). As Schopenhauer sees it, life is pain and suffering, and the more pain there is, the more energy there is for life. Happiness is an attempt to reduce pain. It is wise for a person to be convinced by the hope of happiness, not to aspire to obtain it. As for Nietzsche, life is a will to live, represented in love, ambition, and creativity, and the will to power here in the moral sense that increases the comfort of living. But he agrees with Schopenhauer in seeing life as pain and suffering, and that the more we try to enjoy it, the more we will be enslaved to it, and that the art of living well seeks liberation from pain, not happiness. But he differed with Schopenhauer in that despite the existence of pain, this does not mean denying life, but rather affirming it. Hence, living philosophically (living well) for Schopenhauer and Nietzsche was represented in adapting to pain and suffering, and this does not negate the existence of love, ambition and creativity, and hence living well teaches us how to live life.

Keywords:

Applied philosophy - living philosophically - living well - Arthur Schopenhauer - Friedrich Nietzsche - Will to live - Pain - Boredom - Ambitious - Creativity - The suberman (superior) - Master morality - Slave morality - Pessimism - Happiness - Tragedy - Victory over life - The art of abandonment (non-attachment).

مقدمة:

لم تعد الفلسفة مجرد تأمل نظري، بل امتدت لتصبح فلسفة تطبيقية لها تأثير عملي على تفكير الإنسان وتوجهاته على كافة المستويات: العقل، السلوك، وتنظيم الحياة، بل وبناء الحضارة المعاصرة. ومن هنا تظهر الفلسفة في جانبها التطبيقي فيما يسمى العيش بالفلسف، أو بالأحرى العيش الجيد، الذي يجعل الإنسان يدرك عمق الحياة وقيمتها وطريقة العيش فيها والتأقلم مع صعوباتها ومعاناتها. وهنا تبرز لدينا شخصيتان بارزتان في الفكر الفلسفي المعاصر يتناولان معنى الحياة وكيف نعيشها، ألا وهما شوبنهاور schopenhauer (١٧٧٨ - ١٨٦٠) ونيتشه Friedrich Nietzsche (١٨٤٤ - ١٩٠٠).

لقد أعطى شوبنهاور أهمية كبيرة لقوة بداخلنا وسماها (إرادة الحياة)، والتي تمثل دافعًا كاملاً داخل البشر لإبقائهم أحياء. وهنا يتضح مفهوم العيش بالتفلسف لدى شوبنهاور، فالإرادة تجعلنا دائماً في توق لتحقيق آمالنا ورغباتنا الواحدة تلو الأخرى، حتى إذا ما تحقق ما نصبو إليه، نصل إلى حالة من الملل. ولذا فإن العيش بالتفلسف عند شوبنهاور يعلمنا كيف نتخلي عن هذا التعلق بما نريد، فنحن طيلة الوقت نريد ونريد ونريد. ولذا يدعونا شوبنهاور لفن التخلي أو اللاتعلق بدلاً من إرادة الأشياء (أي الرغبة في الحصول عليها دائماً)، ويرى أن الألم نتيجة طبيعية لكل فعل نقوم به في الحياة. وكلما زاد الألم، زادت طاقة الحياة. فإذا استطاع الإنسان أن يعاني أوفر نصيب من الألم، ارتفع إلى درجة أسمى من التألم، وربما ارتفع إلى درجة من السرور، إذ يرى شوبنهاور أن هذا اللاتعلق أو التخلي يتم إقراره كوسيلة جوهرية لتحقيق الحياة الخيرة.

ومن هنا يهدف شوبنهاور إلى أخلاق عملية تطبيقية يكون هدفنا منها هو التحرر من المعاناة والألم، أو على الأقل التقليل من تلك المعاناة. ومن ثم فإن جوهر الحياة عند شوبنهاور هو الألم، بل تحمل ذلك الألم والمعاناة، وهنا يبرز دور العيش بالتفلسف عند شوبنهاور. فغاية الحكيم ليست حياة مليئة باللذة، بل خالية من الألم، ولذا يتوجب على الإنسان عندما يقيم حصيلة حياته، أن ينطلق من معيار الشرور والآلام التي تجنبها، لا من المتع والمباهج التي تذوقها. فالحياة السعيدة حقاً، كما يراها شوبنهاور، هي الحياة التي فيها شقاء أقل وقابلة للتحمل. ولذا على الإنسان أن يكون مقتنعاً بأن الحياة انتصارات وإخفاقات.

وفي مؤلفه "فن أن نكون سعداء" يقول شوبنهاور إن السعادة هي ألا نبحث عن السعادة، في المقابل يبقى التركيز على تقليص دائرة الشقاء وتقادي الألم إجراءً واقعياً وكافياً لأجل تحقيق متعة العيش، وهذا هو ما يمثل جوهر الفكرة الأساسية لهذا البحث، ألا وهي العيش بالتفلسف (العيش الجيد). فمن الحكمة أن يقنع المرء برجاء السعادة، لا أن يطمح في حصولها. وهناك جانب آخر تتجلى فيه مظاهر العيش بالتفلسف ألا وهو الحب، فالحب، كما يرى شوبنهاور، تشكيل للوجود، والحب هو التجلي الواعي لإرادة العيش. وكل هذا نعيشه ونجربه، ولذا أعرب شوبنهاور عن أسفه لأن الفلسفة قد تم إقصاؤها لموضوع نظري تجريدي، مع أن الأوبانيشاد، مثلاً، كانت فلسفة عملية.

أما نيتشه فقد تأثر بشوبنهاور، ويشرح لنا في كتابه "شوبنهاور مريباً" كيف غير العجز حياة الشاب، وكان يقصد شوبنهاور ومدى تأثره به. فقد كان جوهر الحكمة الفلسفية، كما فسرهما شوبنهاور، يكمن في ملاحظة أرسطو في كتابه الأخلاق لنيقوماخوس، من أن الحكيم يسعى إلى التحرر من الألم، لا إلى السعادة. ومن ثم، ينبغي علينا توجيه هدفنا، لا نحو ما هو بهيج في الحياة، بل نحو تجنب شرورها. ولذا رأى نيتشه أن النصيب الأسعد للإنسان هو تجنب الألم،

سواء كان جسدياً أو عقلياً. ولذا اتفق نيتشه مع شوبنهاور في رؤية الحياة على أنها ألم ومعاناة، وأنها كلما جهدنا أكثر في محاولة الاستمتاع بها ستزداد عبوديتنا لها.

ولكن كيف كيف اختلف نيتشه عن شوبنهاور؟ لقد غير نيتشه تدريجياً فلسفته للتعلم بالألم ومعها نظريته بشأن صعوبة الحياة، التي أخذها عن شوبنهاور، فجاء برأي فريد، حيث تم الإنجاز لا عبر تجنب الألم، بل عبر تحديد ذروته لكونه طبيعياً، وخطوة لا يمكن تجنبها على الطريق نحو التوصل لغاية جيدة، مما ساعد على تغيير نظرة نيتشه. فعلى الرغم من وجود ألم، فإن هذا لا يكمن في إنكار الحياة، وإنما في تأكيدها، وبالتالي تأكيد إرادة الحياة. فالألم والمعاناة ليست ضد الحياة، ولذا لابد من تقبل الحياة بألمها ومعاناتها.

وإذا كانت إرادة الحياة عند شوبنهاور هي فن التخلي (اللاتعلق) بالأشياء التي نريد الحصول عليها، فإن إرادة الحياة عند نيتشه قد جاء بمعنى مختلف، إنها إرادة القوة The Will to Power التي يسعى فيها الإنسان لمزيد من الحرية Freedom والإبداع Creation، إنها أخلاق القوة التي ترفض الخضوع والضعف، وهي أخلاق الإنسان الأعلى Superman، أو كما يعني نيتشه، الإنسان المتفوق الذي يتفرد في حريته وإبداعه وقوته، ولذا جاء مفهوم العيش بالفلسف عند نيتشه مفهوماً أخلاقاً عملياً وتطبيقياً لبناء فرد قوي على وعي بذاته وبالحياة، وذلك لتأكيد الحياة، لا إنكارها، من ناحية، ولتأكيد إرادة الحياة على نحو من التحسين والإبداع من ناحية أخرى.

إشكالية البحث

انطلق كل من شوبنهاور ونيتشه من مقولة سقراط Socrate هذه هي طريقة كامبي في العيش الجيد. (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م): "اعرف نفسك بنفسك" بمعنى كن على وعي بذاتك، فإذا تحقق الوعي، عرف الإنسان كيف يحيا الحياة. ومن هنا فإن إشكالية البحث الأساسية هي: كيف يختلف مفهوم إرادة الحياة عند كل من شوبنهاور ونيتشه، وكيف كان شوبنهاور مريباً لنيتشه، كما يعبر نيتشه نفسه، وفيه اختلف نيتشه عن شوبنهاور، وكيف انعكس مفهوم إرادة الحياة، والألم والمعاناة، والحب على ما نسميه العيش بالفلسف، أي العيش بمبادئ شوبنهاور ونيتشه بصورة تطبيقية عملية تؤثر في حياة الفرد، خاصة وأن مفاهيم كل من شوبنهاور ونيتشه تنمي لدينا الوعي بالذات، والذي يتبدى في أفعالنا، وفي ممارسة سلوكيات حياتنا. ومن ثم، فإن إرادة الحياة هي فلسفة تطبيقية عملية، وممارسة أخلاقية تغير وجه الحياة. وهذا يتجلى في شذرات نيتشه، والتي تمثل شكلاً تجريبياً لفلسفة الحياة، كطريقة عيش الحياة، عيشاً جيداً، حيث ينشد فيها نيتشه أخلاق الصدق والشهامة والطموح والإبداع، ولهذا تعد شذرات نيتشه بمثابة رؤى جديدة للحياة الجيدة والعيش الجيد في كون متغير.

تساولات البحث:

س١: ماذا يعني العيش بالفلسف، كفلسفة تطبيقية (عملية) عند كل من شوبنهاور ونيتشه؟

س٢: هل كان شوبنهاور متشائماً؟

س٣: ما معنى الحياة الجيدة (العيش الجيد) عند نيتشه؟

س٤: فيم اتفق كل من شوبنهاور ونيتشه؟

س٥: كيف اختلف نيتشه عن شوبنهاور؟

س٦: ما الهدف من فلسفتي شوبنهاور ونيتشه في إطار العيش بالتفلسف؟

منهج البحث:

هو المنهج النقدي المقارن

عناصر البحث:

أولاً: فن العيش الجيد.

ثانياً : العيش بالتفلسف عند شوبنهاور.

ثالثاً: العيش بالتفلسف عند نيتشه.

محتويات البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وثلاثة عناصر أساسية، وخاتمة ونتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

أولاً: فن العيش الجيد:

إننا في عصر الفلسفة التطبيقية، وعلينا أن نؤمن بضرورة تحويل الدرس الفلسفي من النظر العقلي المجرد إلى مناقشة قضايا وتحديات المرحلة التي نعيشها^(٢). كما أن هدف الفلسفة تحسين الروح الإنسانية والعمل على نموها من خلال تخليصها من الأفكار الخاطئة التي تمرضها.. كذلك أيضاً لا فائدة من الفلسفة إذا لم تطرد معاناة الروح^(٣). ونيتشه باعتباره "طبيب الحضارة" بالمعنى النيتشوي في حالة أمراض الحضارة فهو يبسط لنا بعض الحاجات الروحية للإنسان، مثل: الحاجة إلى الطموح Ambitious والإبداع والتفوق superiority، وفق فلسفة نيتشه^(٤).

فأن تعمل بأسلوب هادف وصادق وأصيل، معناه أن تعمل بالأسلوب الذي يلبي إرادة النمو التي لديك أنت بالذات، ذلك بعد أن تكون قد عرفت ذاتك وفق وصية سقراط الشهيرة. فهناك أشخاص خاضوا معارك ساعدتهم في تحقيق نموهم الخاص، فأسهلوا في نمو النوع البشري.^(٥) حيث إنه لا فائدة للفلسفة إلا إذا كان كل ما تفعله هو تمكينك من التحدث ببعض المعقولة

(٢) مصطفى النشار (٢٠١٠): العلاج بالفلسفة.. بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية، وفلسفة الفعل، منتدى سور الأريكية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١٤.

(3) Bellarmine U.Nneji(2013): philosophical counselling, praxis and pedagogy, Vol 9, p.4.

(٤) سعيد ناشيد(٢٠١٩): الطمأنينة الفلسفية، ط ١، دار التنوير ، ص ص ٣٤، ٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٧.

حول بعض الأسئلة الغامضة في المنطق. والأهم من ذلك أن تحسن تفكيرك حول الأسئلة المهمة في الحياة اليومية^(٦). بمعنى أن يكون الاهتمام بالحياة المعيشة، بغرض تحسينها، وهذا ما نعينه بالعيش الجيد.

اختلفت أهداف الفلاسفة على الدوام، وذلك باختلاف عصورهم، وثقافتهم، وخبراتهم اليومية والحياتية، إلا أن غاية الغايات التي عمل الفلاسفة على تحقيقها ظلت هي نفسها في كل الحالات: تحقيق السعادة أو بتعبير أكثر تواضعاً: إن الحد من الشقاء لهو الرهان الأساسي للفلاسفة منذ سقراط وحتى يومنا هذا. عموماً ظلت السعادة باعتبارها حالة تقليل الشقاء أو انعدامه. غاية الغايات في تاريخ الفلسفة.

بل حتى شوبنهاور الموصوف في تاريخ الفلسفة بفيلسوف التشاؤم، سيعود في شيخوخته إلى جادة الصواب لكي يكتب كتاباً بعنوان معبر "فن أن نكون سعداء"^(٧). أما العيش بالتفلسف معناه أنه كلما تحررنا أكثر زادت مسؤوليتنا عن أفعالنا، وكلما شعرنا بالمسؤولية أكثر، فكرنا في الحقيقة الجيدة والصحيحة. إذن العيش بالتفلسف يسعى للحياة الجيدة والعيش الجيد^(٨). حيث يمكن للفلسفة أن تغير طريقة حياتنا. وسنربط مثل هذا التغيير بمصطلح التحول الذاتي self-Transformation، لأنه يتضمن تغييراً في شخصية الفرد، وليس مجرد تغيير في البيئة الخاصة به، حيث يغير التحول الذاتي النزعة الداخلية التي تحدد الطريقة التي يستجيب بها المرء للأحداث الخارجية^(٩).

السعادة إذن قدرة وليست قدراً.. إنها من بين القدرات الذاتية للإنسان، والتي يمكن تنميتها، كما يمكن إضعافها. أما العامل الأساسي في ذلك كله فهو نمط التفكير، والذي سرعان ما يؤثر في أسلوب الحياة. كيف نفكر؟، هي التي تحدد كيف نعيش، القدرة على السعادة هي بالدرجة الأولى قدرة على بناء الذات على نحو أصيل، من خلال بناء العقل والمشاعر والغرائز، والتي تمثل مقومات التفكير^(١٠).

أ- كيف نغير العالم؟

ليس موضوع الفلسفة هو العالم، بل رؤيتنا للعالم. إذ إن غاية الفلسفة تنمية قدرتنا على العيش في هذا العالم. لأجل ذلك، تتمثل وظيفة الفلسفة في إصلاح الكينونة في كل أبعادها العقلية والروحية. ويتضمن إصلاح العقل إخراجه من حالة الخمول والعجز والتسليم، حيث بوسعنا أن نلتقي بالعديد من المشاريع الفلسفية من ضمنها على سبيل المثال، مشروع شوبنهاور (فن أن

(6) Bellarmine U.Nneji : philosophical counselling, praxis and pedagogy, p.2.

(٧) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية ، ص ٨٠.

(8) Baniki konrad: philosophy as a therapy, pp 4١, 42,45.

(9) Ibid, p. 11

(١٠) المرجع نفسه ، ص ٨٣.

نكون سعداء)، ومشروع نيتشه (هكذا تكلم زرادشت)، و(هذا هو الإنسان).. فالعقل عندما لا نتحكم فيه، يكون ميالاً بطبعه إلى الأفكار السلبية والانفعالية الباعثة على الحزن والخوف والندم والأسى وغير ذلك. لذلك نشعر بأمن روحي بقدر ما نمتلك القدرة على التفكير الإيجابي. وعلى هذا النحو يكون إصلاح العقل محوراً أساسياً من محاور إصلاح الكينونة، ^(١١) ذلك أننا كما نفكر نكون. هنا يبدو الأمر عملياً، إذ يوفر لنا تاريخ الفلسفة تمارين أساسية لأجل تحسين مهارة التفكير: ومن ثم الاستعداد للتفكير بنحو إيجابي. في كل الأحوال هناك مسألة لا ينبغي نسيانها: أن نعيش الحياة معناه أن نعيش تأويلنا للحياة. فالوقائع تمحى وتتقى، ولا يبقى سوى أفكارنا عنها وتأويلاتنا لها. هذا ما قد يسعدنا أحياناً، و يتعسنا أحياناً أخرى ^(١٢).

ب - إعاقة البدن وإعاقة الإرادة:

قد تعاني من إعاقة في موضوع جسديك ، أو في إحدى حواسك ، أو في إمكانياتك، فتلقي باللائمة على ما تظنه موضع الإعاقة، وتشقى لأجل ذلك اللوم شقاءً كبيراً. غير أنك تنسى ما يلي: كرة الحياة لا تُقذف بالأرجل، بل تُقذف بالإرادة. وكل هذا متعلق بالإرادة. ولذا فإن هناك مفاهيم وقيماً ثقافية تنمي القدرة على الحياة، وبالتالي تصنع السعادة، كما أن هناك مفاهيم وقيماً تضعف القدرة على الحياة والنمو، ومن ثم تسبب الشقاء. فإذا لم تمنحك المعرفة شعوراً بالفرح، فمعناه أنها لم تصبح جزءاً منك، ولم تساعدك على النمو ^(١٣).

إذن: هل تساعدنا الفلسفة على مواجهة صعاب الحياة اليومية؟

يمكن القول إنه إذا كانت الفلسفة تساعدنا على تغيير نظرتنا للحياة، فبوسعها أن تساعدنا على تحسين قدرتنا على العيش ^(١٤). فإذا استحضرنما ما قاله بعض فلاسفة فن العيش مثل شوبنهاور و نيتشه ، فإن مواصفات الحياة البسيطة عندهما تقوم على خمسة مقومات:

١ - حياة أعيشها بأقل ما يمكن من الشقاء والألم والأوهام، وبما يعنيه ذلك من مراعاة لكل ما يتعلق بأنظمة الحياة اليومية، بدءاً من النظام الغذائي والصحي، وانتهاءً بالنظام المعرفي والتواصل والأكلاقي.

٢ - حياة أكون فيها متصالحاً مع قدرتي الخاص، بحيث أكتشف عن مقارنة نفسي بأي قدر آخر لأي إنسان آخر، أيًا كان.

٣ - حياة أكون فيها أنا هو أنا بالذات، بحيث أكون كما أنا لا كما يريد الآخرون أن أكون.

^(١١) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية ، ص ٥٧.

^(١٢) سعيد ناشيد (٢٠١٨): التداوي بالفلسفة، ط ١، دار التنوير، ص ٤٠.

^(١٣) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ص ٩١-٩٢، ٨٣، ١٠٠.

^(١٤) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٢٥-٢٦.

٤ - حياة أبسط فيها سلطان على نفسي، بحيث تكون انفعالاتي ومشاعري صادقة في التعبير عن القيم التي أعبر عنها وأدعو إليها، وأجعل خيالي يناسب طاقتي الحيوية، بما يقلل أثر الانفعالات السلبية على قراراتي في الحياة.

٥ - حياة حيث أصنع المتعة بأقل الأشياء، وأبدع السعادة بأيسر الوسائل، وأمتلك الفرح بأبسط السبل، وحيث تكون البهجة الحقيقية هي بهجة الشعور بالنمو والارتقاء، والاستمتاع بنسيم الصباح، وموسيقى الروح، رائحة البحر، ورياضة الجري، قراءة الروايات... إلخ^(١٥).

ج - ما الذي ينقصنا لتحسين الحياة؟

بلا شك يبقى تحسين الحياة مطلباً مشروعاً، أو حلمًا جميلًا على أقل تقدير، لكن الأكثر أهمية بالنسبة للحياة، هو القدرة على الحياة. إنها القدرة التي يجب ألا يفقدها المرء، بصرف النظر عن تحسين ظروفه المعيشية ومعاركه اليومية. فليس هناك سوى مرض واحد يمكنه أن يدمر الحياة، ويدمر الحضارة، ويدمر النوع، البشري، إنه مرض العجز عن الحياة، لاسيما حين يتخذ المرض طابعاً وراثياً واجتماعياً، فينتقل عبر التنشئة والتربية والثقافة والقيم^(١٦). غير أن تحسين القدرة على الحياة يستدعي تحسين القدرة على التفكير أولاً، طالما أن أصل اضطراب الروح هو اضطراب الفكر. لذلك يجب ألا يأتي الرهان على تغيير الأشياء على حساب الرهان على تغيير آرائنا حول الأشياء. لاسيما حين يتعلق الأمر بالأشياء التي لا نتوقف عليها، والتي يجب التركيز على تغيير آرائنا حولها، حفاظاً على الجسد والنفس والروح، بمعنى صحة الكينونة. إذن بوسع كل واحد منا أن يمتلك حكمة متاحة، يمتلكها انطلاقاً من وعيه بذاته، واعتماداً على مبدأ "اعرف نفسك بنفسك". هذا بالذات هو طريق فلاسفة العيش شوبنهاور و نيتشه. ومن هنا فإن الفهم الحقيقي للحياة هو الفهم الذي ينمي قدرتنا على الحياة. إن المبدأ الذي تقوم عليه فلسفات فن العيش بسيط ومتفق عليه في تاريخ الفلسفة هو أن الطريق إلى السعادة يقتضي بالضرورة إعمال العقل وممارسة التفكير. والمهم في آخر الأمر أن تقلص دائرة الشقاء في حياة الإنسان رهين بتنمية مهارة التفكير، طالما أننا كما نفكر نكون، وطالما أننا حين نفكر بأسلوب سيء سنعيش على الأرجح بنحو سيء. يصدق هذا الاستنتاج على أبسط تفاصيل حياتنا^(١٧). وعلى نفس النحو ينبغي أن نلجأ إلى الفلاسفة للسبب ذاته عندما تكون روحنا غليظة^(١٨).

(١٥) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ص ١٠-١١.

(١٦) المرجع نفسه، ص ١٦.

(١٧) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ١٧، ٢٨، ٢٩، ٣٩.

قارن آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، كيف تساعدنا الفلسفة في الحياة، ترجمة: يزن الحاج، دار التنوير، ص ص ٣١-٣٢.

(١٨) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٦٩.

د - كيف تساعدنا الفلسفة في تقليص دائرة الشقاء والتي تبدو ملازمة لنا؟

لا تشير السعادة إلى مضمون محدد، بل تحيل بكل بساطة إلى حالة انعدام الشعور بالشقاء. السعادة هي حالة الكينونة حين تنجح في التخلص من أسباب الشقاء الوجودي: (الخوف من الموت)^(١٩). فما تحتاجه هو توضيح مفاهيمي لمعنى وقيمة الحياة. إذن هناك حاجة إلى تفكير نقدي متقدم وحقيقي لمعالجة هذه القضية. إنها قضايا وجودية تتعلق بأولويات ومعنى الحياة^(٢٠). إذن التحول الذاتي هو انفتاح على الجدة والأصالة والإبداع والحرية والفعل والتغير. ينتج لنا كفاءات تتعلق بمقومات حياة المرء الطيبة والعيش الجيد مثل: التواضع، والتوازن، الثقة. والانفتاح بهذا المعنى، عملية فعالة تتسم بالمغامرة.^(٢١)

ثانيًا: العيش بالتفلسف عند شوبنهاور:

أدرك شوبنهاور أن عمق الحياة وجوهرها هو الألم والمعاناة، ولذا فإنه ينبغي طرح بعض المفاهيم التي تفسر لنا الحياة، بل وتجعلنا قادرين على أن نعيش الحياة لنحقق أفضل سبل العيش الحكيم، أو كما قال شوبنهاور فن العيش الحكيم. ولذا يمكن طرح عدة أفكار لدى شوبنهاور، ولأسيما عدة استنتاجات. وما هي الاستنتاجات التي توصل إليها شوبنهاور من معرفته الداخلية لجسده؟ بأنه توجد في داخلنا، وفي الطبيعة كلها، قوة حياتية أساسية تهمة أطلق عليها الإرادة. فقد كتب، في كل مكان ننظر إليه في الحياة، نرى المعاناة والألم الذي يمثل جوهر الحياة، التي هي كفاح ونضال. وما هي المعاناة؟ إنها عائق لهذا الكفاح من خلال عقبة توضع في الطريق بين الإرادة وهدفها. وما هي السعادة؟ إنها تحقيق الهدف^(٢٢).

أ - شوبنهاور والعلاج الذاتي:

في عام ١٨١٨ ينهي شوبنهاور كتابه "العالم إرادة وتمثلاً"، والذي يرى فيه أن كل تاريخ الحياة هو تاريخ من المعاناة^(٢٣). ويتحدث شوبنهاور بأن سيرته الذاتية عن نفسه خلاصة رائعة لأساليب العلاج الذاتي التي ساعدته على البقاء بشكل جيد من الناحية النفسية. ويتحدث شوبنهاور عن نفسه: حتى في شبابي لاحظت في نفسي أنني، بينما كان الآخرون يسعون

(١٩) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(20) Baniki konrad: philosophy as a therapy, p. 6.

(٢١) رضا كمال خلاف، الفلسفة العلاجية والمشورة الفلسفية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ص ص ٥٩١، ٥٩٣.

(٢٢) إرفين د. يالوم (٢٠١٨): علاج شوبنهاور، ترجمة: خالد الجبيلي، رواية، مكتبة الجمل، ط ١، بغداد، بيروت، ص ٢٩٢.

(٢٣) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢١٩.

جاهدين للحصول على الحاجات الخارجية، لم أشعر بأنه يتعين عليّ أن ألتفت إلى هذه الأشياء، لأنني أحمل في داخلي كنزاً أؤمن بكثير من كل الممتلكات الخارجية، وكان الشيء الأساسي هو أن أعزز هذا الذي تتمثل شروطه الأساسية في تطوير عقلي واستقلاليّتي التامة. يتعين عليّ أن أستمّد قواي من صحتي وسعادتي لأكرسها في خدمة البشرية، إن فكري ليس ملكاً لي، وإنما ملك للعالم أجمع^(٢٤).

ب- العبقريّة والعزلة عند شوبنهاور:

يرى شوبنهاور أن عبء عبقريته جعله أكثر قلقاً واضطراباً، ذلك أن حساسية العباقرة تجعلهم يعانون المزيد من الألم والقلق فهم يستخدمون موهبتهم من أجل البشرية فحسب، ويتعين عليهم أن يكرسوا أنفسهم بالكامل لتحقيق رسالتهم، وهم مرغمون على التخلي عن العديد من الأشياء التي تشبع الرغبات (الأسرة، الأصدقاء، البيت، تكديس الثروة المتاحة للبشر الآخرين). لقد ساعد إيمان شوبنهاور بعبقريته أيضاً في تزويده بإحساس قوي بمعنى الحياة، فقد اعتبر نفسه طوال حياته مبشراً حقيقياً للجنس البشري^(٢٥). وعبر الأعمال - الإبداعية - سنتمكن من اكتساب لحظات تبصرنا في آلامنا، ما يوفر علينا مشاعر الاستنفار والعزلة التي تحفنا. كما يعمل كل من الفن والفلسفة على مساعدتنا، بحسب كلمات شوبنهاور، على تحويل الألم إلى معرفة^(٢٦).

فالعزلة هي ينبوع السعادة والطمأنينة والسكينة عند شوبنهاور، غير أن العزلة لا تكون إلا من نصيب الأشخاص الذين لا يعولون إلا على أنفسهم، ويجدون فيها ما يشتهون. فأسعد الناس هو المعتمد على نفسه التي يودع فيها كل خيراته. فكلما اكتفى الإنسان بما لديه، استغنى عما لدى غيره^(٢٧). وهنا تتضح معالم العيش بالتفلسف، القائم على التخلي واعتماد الفرد على ما لديه من ملكات، والسبيل في ذلك هو العزلة كوسيلة فعالة للعلاج الذاتي عند شوبنهاور.

لذا كانت دفاعات شوبنهاور في وجه العزلة قوية وعميقة، وقد فرضت رسالته المستندة إلى عبقرية العزلة في الحياة، ولكن بالطبع كانت له دائرة أصدقاء خاصة به: المفكرون العظماء في العالم. وسنجد أن إحدى الطرائق التي يتبعها قادة العلاج النفسي الجماعي أو التطوير الشخصي هي طريقه "من أنا؟". هكذا يتحدث شوبنهاور كعلاج ذاتي. إذن، من أنا؟ أنا الرجل الذي كتب "العالم إرادة وتمثلاً"، والذي قدم حلاً لمشكلة الوجود العظيمة. وهناك نقطة مهمة أخرى تمثلت في

(٢٤) إرفين د. بالوم: علاج شوبنهاور، ص ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢٥) إرفين د. بالوم: علاج شوبنهاور، ص ٣٦٨.

(٢٦) آلان دوبيوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٤٩.

(٢٧) آرثر شوبنهاور (٢٠١٨): فن العيش الحكيم، تأملات في الحياة والناس، ترجمة: عبدالله زارو، منشورات

الاختلاف، منشورات ضفاف، ط ١، الجزائر، ص ١٨٦.

قناعته بأن أعماله أجلاً أم عاجلاً، ربما بعد موته، سنتال الشهرة، وستتغير كثيراً مسيرة البحث الفلسفي. وفي ذلك كان يشبه نيتشه وغيره من المفكرين المستقلين الآخرين الذين لم يحظوا بالتقدير الملائم، كما كان نيتشه على يقين تام بأنه سيحظى بالشهرة بعد موته^(٢٨).

وكل فعل حقيقي من أفعال إرادتي يقدر في الوقت نفسه، حركة من حركات جسمي، فلا يمكن للفرد أن يريد حقاً فعلاً ما، دون أن يكون في الوقت نفسه واعياً بأن الفعل الصادر عن إرادته يظهر بوصفه حركة من حركات جسمي. ولذا ففعل الإرادة وعمل الجسم شيء واحد. والحقيقة أن الجسم ليس سوى الإرادة مجسدة. كما أن اللذة والألم هما بمثابة الرغبة اللحظية والقسرية في التأثير الذي يستشعره الجسم^(٢٩). إذن توجد لدى كل واحد منا معرفة ثرية جداً عن أجسادنا - معرفة تتبع من مشاعرنا، لأن معرفة طبائعنا الأكثر عمقاً (وحشيتنا، حقوقنا، شعورنا بالجسد، عدوانيتنا، أنانيتنا) ستسبب لنا اضطرابات ربما تتمثل في خداع الذات^(٣٠).

(ج) الإرادة والملل عند شوبنهاور:

نريد، نريد، نريد، هناك عدة احتياجات ننتظر في ثناياها العقل الباطن لدى كل شخص يبلغ درجة الوعي. إن الإرادة تدفعنا بلا رحمة لأنه، ما أن يتحقق أحد الاحتياجات، حتى يحل محله بسرعة احتياج آخر ثم آخر وآخر طوال حياتنا. فالحياة الإنسانية تدور حول محور الحاجة إلى الأبد بعد كل إشباع. هل نقتنع بالإشباع؟ للأسف، لفترة وجيزة فقط، وعلى الفور يحل الملل، ومرة أخرى، نصبح مدفوعين إلى الحركة، هذه المرة للهرب من رعب الملل. فمن المؤكد أن العمل والقلق والكد والعناء، تكاد تكون قدرنا كلنا طوال حياتنا. أما إذا تحققت كل رغبة كلما برزت، فكيف سيشغل الناس حياتهم ويمضون أوقاتهم؟^(٣١).

ومن ناحية أخرى، كم هو مخلوق لا يشبع ! فكل إشباع يصل إليه يضع بذور رغبة جديدة، بحيث لا توجد نهاية لرغبات كل إرادة فردية. ولماذا يحدث هذا؟ السبب الحقيقي ببساطة هو أن الإرادة، إذا ما أخذناها في حد ذاتها، وجدنا أنها سيادة كل العوالم: كل شيء ينتمي إليها، وبالتالي

(٢٨) إرفين د. بالوم: علاج شوبنهاور، ص 693-371.

(٢٩) آرثر شوبنهاور: العالم إرادة وتمثلاً، الكتاب الثاني، ترجمة وتقديم وشرح: سعيد توفيق، مراجعة على النص

الألماني: فاطمة مسعود، المجلس الأعلى للثقافة، ص ١٤٣.

(٣٠) إرفين د. بالوم: علاج شوبنهاور، ص ٢٩١.

(٣١) المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

لا يمكن لشئ واحد أن يمنحها الإشباع، ولكن فقط الكل، الذي لا نهاية له. ولكن أيضاً، وعلى الرغم من كل هذا ، فلا بد أن يثير تعاطفنا أن نفكر في مدى ضآلة ما تحصل عليه الإرادة^(٣٢). إن الإرادة تتبدى للذات العارفة للمرء في وجوده كفرد، فالإرادة، والإرادة وحدها، هي ما يمكن أن تمنح الإنسان مفتاح تفسير ظاهرة وجوده الخاص، وتكشف له عن مغزى وجوده. إن جسمي وإرادتي هما شئ واحد، كما يرى شوبنهاور. وجسمي يظل بمثابة إرادتي طالما كنت أنظر إليه بمنأى عن كونه موضوعاً لتمثلي إن مجمل الطبيعة الباطنية لمشيئتي لا يمكن تفسيرها من خلال الدوافع، وإنما هذه الدوافع تحدد فحسب تجليها في لحظة معينة من الزمان، إنها مجرد المناسبة التي فيها تكشف إرادتي عن ذاتها. أما هذه الإرادة ذاتها، فإنها تكمن خارج نطاق قانون الدافعية. إن الجسم ذاته يجب أن يكون تجلياً للإرادة^(٣٣).

ما لم تكن المعاناة هي الهدف المباشر والفوري للحياة، فإن وجودنا لا بد أن يفشل في تحقيق هدفه. ومن العبث أن ننظر إلى كمية الألم الهائلة التي تنتشر في كل مكان في العالم، والتي تنشأ عن الاحتياجات والضروريات التي لا يمكن فصلها عن الحياة نفسها، على أنها لا تخدم أي غرض على الإطلاق، ولكن المعاناة والألم هما القاعدة. ويرى شوبنهاور أن الخير سلبي، بمعنى أن السعادة والرضا يعنيان دائماً تحقيق رغبة ما، وإنهما حالة من الألم. فالمتعة ليست بالمتعة التي توقعناها، ومن ثم يصبح الألم أكثر إيلاًماً. لقد قيل إن المتعة في هذا العالم تفوق الألم، أو على الأقل هناك توازن متساوٍ بين الاثنين، وهنا يكمن جزء لا يستهان به من عذاب الوجود في أن الزمن يضغط علينا باستمرار، ولا يسمح لنا أبداً بالتنفس، بل يلاحقنا دائماً، مثل سيد مكلف يحمل سوطاً. وإذا أوقف الزمن يده في أي لحظة، فلن يحدث ذلك إلا عندما نستسلم لبؤس الملل مما تحصل عليه الإرادة^(٣٤).

لماذا نسرع إلى تبديد الملل؟ لأنه حالة سرعان ما تكشف عن حقائق أساسية غير مستساغة في الوجود – ضآلتنا، وجودنا الخالي من أي معنى، سبيلنا الذي لا مفر منه نحو التدهور والموت لذلك فإن الحياة الإنسانية ما هي إلا دورة لا تنتهي من الرغبة والإشباع والملل، ثم الرغبة مرة أخرى^(٣٥).

(32) Arther Schopenhauer (١٩٨١): Studies in Pessimism, Selected and translated by: T Baiely saunder, M.A, London, Swan Sonneus Chin & Co. Paternnoster Square, p. ٣٧.

(٣٣) آرثر شوبنهاور: العالم إرادة وتصوراً، الكتاب الثاني، الوجه الأول، تجسد الإرادة، ص ص ١٤٣، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٤.

(34) Arther Schopenhauer: Studies in Pessimism, PP 11,12.

(٣٥) إرفين ديالوم: علاج شوبنهاور، ص ٢٩٣.

ولذا فقد أعطى شوبنهاور أهمية كبيرة لقوة بداخلنا، تتفوق دائماً على العقل، وسماها إرادة الحياة، والتي تعرف بكونها دافعاً كامناً داخل البشر لإبقائهم أحياء^(٣٦)، كما رأى أن الإنسان مركب من الاحتياجات والضروريات التي يصعب إشباعها، وحتى عندما يتم إشباعها، فإن كل ما يحصل عليه هو حالة من عدم الألم، حيث لا يبقى له شيء سوى التخلي عن الملل. هذا دليل مباشر على أن الوجود ليس له قيمة حقيقية في حد ذاته، فما الملل إلا الشعور بخواء الحياة، كما لو كانت الحياة - التي تشكل الرغبة (الإرادة) فيها جوهر وجودنا. وحتى المتعة الحسية نفسها لا تعني شيئاً سوى النضال والطموح الذي يتوقف في اللحظة التي يتم فيها تحقيق هدفه، وبالتالي فإن الصراع مع هذه الإرادة عقيم وغير مفيد في جوهره، فالشغف بكل ما هو غريب وغير عادي، ميل فطري لا يمكن القضاء عليه في الطبيعة البشرية، وهذا هو المظهر الأكثر وضوحاً لإرادة الحياة^(٣٧).

(د) شوبنهاور: التشاؤم كأسلوب حياة:

كل نفس نأخذ يدراً عنا الموت الذي يحقق بنا طوال الوقت... وفي النهاية، لا بد أن ينتصر الموت، لأنه أصبح قدرنا منذ ولادتنا. ويتلاعب بفريسته لفترة قصيرة جداً إلى أن يبتلعها، لكننا نواصل حياتنا باهتمام كبير وبؤس شديد بقدر ما نستطيع. فما أن نولد حتى نبدأ نموت^(٣٨). فالوجود معناه الألم والمعاناة عند شوبنهاور. والعالم عميق في ألمه، ولكن سروره أشد عمقاً من ألمه - كما نادى نيتشه - لقد بدأ نيتشه تلميذاً لشوبنهاور، ورأى أن الحياة تعاقب وألم وضجر، نتألم إذا ما افتقرنا إلى شيء ما، ونضجر إذا ما حصلنا على ما إليه افتقرنا. والمزيد من القدرة هدف الإنسان، والسعي لتحقيق هذا الهدف يلقي العقبات والألم. فالألم كاللذة طريق الإرادة إلى القدرة، وفي كل حياة تكمن إرادة الألم^(٣٩).

إن الحياة السعيدة مستحيلة، وأفضل حياة يستطيع المرء أن يعيشها هي الحياة البطولية. وفي كتاب شوبنهاور "العالم إرادة وتمثلاً" يتناول شوبنهاور علاقة الإنسان مع الآخرين ومع نفسه. وتعرض الحالة الإنسانية في أحلك جوانبها ومظاهرها: الموت، العزلة، والمعاناة المتأصلة في الوجود^(٤٠).

^(٣٦) آلان دوبيوتون: عزاءات الفلسفية، ص ٢٢٥.

^(٣٧) Arther Schopenhauer: Studies in Pessimism, p. 14.

^(٣٨) إرفين ديالوم: علاج شوبنهاور، ص ٤٥

^(٣٩) وفيق غريزي (٢٠٠٨): شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص ص ١٧، ٤٥

^(٤٠) إرفين ديالوم: علاج شوبنهاور، ص ص ٤٥ - ٢٨٩

يرى شوبنهاور أنه لا يوجد إلا خطأ فطري واحد، هو الفكرة القائلة بأننا نوجد لنكون سعداء. فما نحن إلا إرادة للحياة، ونحن لا نفهم من السعادة إلا أنها الإرضاء المتعاقب لإرادتنا. وطالما ظللنا واقعين في هذا الخطأ الفطري، الذي يزداد رسوخًا فينا بفضل المعتقدات المتفائلة، فإن العالم يبدو لنا حافلًا بالمتناقضات. ذلك أننا نشعر حتمًا في كل خطوة، وفي كل الأشياء صغيرها وكبيرها، بأن العالم والحياة لم ينظما أبدًا بقصد ضمان حياة سعيدة لنا. فضلًا عن ذلك، فإن كل يوم مر في حياتنا حتى الآن علمنا أنه حتى في الحالات التي تتحقق فيها أفراح ولذات، تكون هي ذاتها خداعة، ولا تؤدي إلى النتائج التي تعدنا به، ولا ترضى قلوبنا. فضلًا عن أن الحصول عليها يقترن على الأقل بالمرارة التي يبعثها ما يرتبط بها أو ما ينبثق عنها من الآلام والمنغصات. أما الآلام والأحزان فتثبت أنها حقيقية إلى أبعد حد، وكثيرًا ما تتجاوز كل ما نتوقعه^(٤١).

لقد اعترف شوبنهاور نفسه بأن سعادة الإنسان تتوقف على الإنسان نفسه أكثر من توقفها على الظروف الخارجية. واستمد شوبنهاور فلسفته، كما يرى البعض، من مزاجه العصبي، وفراغ حياته، وعزلته ووحدته وانطوائه على نفسه، الذي طبع حياته بطابع السأم والملل المعتم والقاتم. هذا بالإضافة إلى الآلام والأحزان التي كانت تسود عصره^(٤٢).

وهكذا فإن كل ما في الحياة قد رسم بحيث يؤدي بنا إلى الرجوع عن هذا الخطأ الفطري، وإلى إقناعنا بأن القصد من وجودنا هو ألا نكون سعداء. أما من تخلص بطريقة ما من ذلك الخطأ الأول الكامن فينا، ومن ذلك التزييف الأول في وجودنا، فسرعان ما يرى كل شيء في ضوء مخالف، ويجد أن هذا العالم متفق مع إدراكه، وإن لم يكن متفقًا مع رغباته: فلا تعود مظاهر البؤس، مهما كان نوعها أو مقدارها، تثير فيه دهشة، وإن كانت تبعث فيه الألم، إذ إنه قد أدرك أن الألم والشقاء هما ذاتهما اللذان يحققان الغاية الصحيحة للحياة، ألا وهي انصراف الإرادة عنها^(٤٣). وهذا هو طريق الخلاص عند شوبنهاور.

ولنطرح سؤالاً جديلاً: هل كان شوبنهاور متشائمًا؟! أو بالأحرى هل جعلته رؤيته للحياة على أنها ألم ومعاناة، هل جعلته يائسًا؟

والإجابة هي أن تشاؤمه كان ألمًا خالصًا، والنتيجة المنطقية لهذا التشاؤم نشدان الخلاص بواسطة القضاء على إرادة الحياة. فكلما زاد الألم وتعدد، زادت طاقة الحياة وتعددت القوى التي تحتويها. فإذا استطاع المرء أن يعاني أوفر نصيب من الألم، ارتفع إلى درجة أسمى من التألم،

(٤١) آرثر شوبنهاور (١٩٩٤): العالم إرادة وتصورًا، الكتاب الثالث ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ص ٢٩

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٤٣) إرفين ديالوم: علاج شوبنهاور، ص ٤٥

ارتفع إلى درجة جديدة، وطور آخر، وهو طور السرور. ولذا فإنه إذا أمكن غرس روح "اللاتعلق" بدلاً من إرادة الأشياء والرغبة في الحصول عليها، فإن هذا اللاتعلق أو التخلي، يتم إقراره كوسيلة جوهرية لتحقيق الحياة الخيرة^(٤٤).

وهنا يرى شوبنهاور أن قدرًا معينًا من القلق أو الألم أو المتاعب ضروري لكل إنسان في كل الأوقات. ومن المؤكد أن العمل والقلق والعمل الشاق والمتاعب تشكل نصيب كل البشر تقريبًا طوال حياتهم. ولكن إذا تحققت كل الرغبات بمجرد زوالها، فكيف سيشغل البشر حياتهم؟ وماذا سيفعلون بوقتهم؟ وإذا كان العالم جنة من الرفاهية والراحة، وأرضًا تفيض باللبن والعسل، حيث يحصل كل رجل على ثروته في الحال ومن دون أي صعوبة، فإن البشر سيموتون من الملل. فكلما تطلعنا إلى شيء، قل الرضا الذي نجده فيه عندما يأتي. فالحياة مهمة يجب القيام بها. ومهما كانت أشكال السعادة التي يعيشها الإنسان متنوعة، فإن السعادة التي يعيشها الإنسان لا يمكن قياسها إلا من خلال التحرر من الألم، أو حتى محاولة تقليله. هذا هو الأصل الحقيقي لاهتمامات الإنسان: آماله، مخاوفه، المشاعر التي تؤثر عليه بشكل أعمق بكثير مما يمكن أن يكون عليه الحال. مع تلك الأفراح والمعاناة. وفي قواه على التأمل والذاكرة والتنبؤ، يمتلك الإنسان، كما لو كان آلة لتكثيف وتخزين ملذاته وأحزانه^(٤٥).

والذي يحدث عادة هو أن القدر يمر على نحو حاسم بذهن الإنسان وهو في عنفوان رغباته وأمانيه. وعندئذ تتحول حياته تحولًا أساسيًا في اتجاه الألم، وعن طريق هذا التحول يتحرر من الرغبة المنفعلة التي يكون كل وجود فردي مظهرًا لها، ويصل إلى النقطة التي يغادر فيها الحياة ولم تبقَ لديه أي رغبة فيها وفي ملذاتها، بل إن الألم في الواقع، هو عملية التطهير التي يحصل الإنسان بها وحدها إلى القداسة، أي يرجع بها عن ذلك الطريق الضال، طريق إرادة الحياة^(٤٦).
يذكرنا شوبنهاور أن العاطفة تمتلك قوة كافية لتحجب المعرفة وتزييفها، ويتخذ العالم برمته مظهرًا باسمًا عندما يكون لدينا سبب للابتهاج، وجانبًا مظلمًا وكئيبيًا عندما يملكنا الحزن. ويذكر شوبنهاور أن القراء المطلعين بشكل جيد على الأوبانيشاد^(*)، سيكونون مهيين بشكل أفضل لفهم كتاباته^(٤٧).

(٤٤) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

(٤٥) Arther Schopenhauer: Studies in Pessimism, PP. 13,15,16.

(٤٦) آرثر شوبنهاور: العالم إرادة وتصورًا، ص ٣٠.

(*) الأوبانيشاد: نصوص طقسية، وهي أحيانًا نثر، وأحيانًا شعر. تعني كلمة Upanishad حرفيًا "الجلوس بالقرب من المعلم. انظر:

Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p.13.

(٤٧) إرفين ديالوم: علاج شوبنهاور، ص ٣١٧.

س: كيف تساهم الأوبانيشاد، عند شوبنهاور، في العيش بالتفلسف؟

يعد استخدام التفكير العقلاني النقدي في العملية العلاجية معياراً محتملاً لتمييز العلاجات الفلسفية عن الأشكال الأخرى للعلاجات القديمة. في ظل هذه المقدمات، يمكن إرجاع الوظيفة العلاجية للفلسفة إلى الأوبانيشاد (فيدانتا) ولاسيما عقيدة سامخيا^(*) التي تسعى إلى التحرر من المعاناة عن طريق المعرفة، والتي توفر الخلفية الميتافيزيقية لمدرسة اليوجا^(**)، والتي تحتوي على تعليمات مباشرة لليوجا: كبح الحواس، والقلب والروح، موجهين بالكامل نحو الخلاص - متحررين من الرغبات والمخاوف والكراهية^(٤٨).

إن تعاليم شوبنهاور الأخلاقية في جانبها العملي تماثل البوذية بدقة. فإرجاع الوجود كله إلى الرغبة الأنانية وما ينتج عنها من القول بأن مهمة هذا الوجود يجب أن يكون شرّاً بالضرورة، فضلاً عما يترتب على ذلك من القول بأن الطريق إلى خمود الحزن يكون فقط من خلال خمود الرغبة، وأن هذا الطريق يمكن الوصول إليه من خلال إماتة كل انفعال - فكل هذه الأمور بمثابة المسائل الجوهرية في العقيدة البوذية^(٤٩).

بما أن هدف التدريس كان التحرر من المعاناة، يمكن إذن ربط الأوبانيشاد بالعيش الجيد. ومن خلال وساطة أحد المعلمين. وهناك تعبير اشتقاقي للمعلم باعتباره طارداً للظلام، حيث ينظر إلى الظلام على أنه نقص في المعرفة. في القرن الرابع ق. م، حظى انتشار الأفكار الجديدة بظهور السوترا (الكتب المدرسية). ويمكن اعتبار الأشكال المكتوبة للأوبانيشاد بمثابة كتيبات إرشادية للعلاج الذاتي. ولذلك فإن توجه الأوبانيشاد ليس نظرياً بقدر ما هو عمل يهدف للخلاص^(٥٠).

ظهرت البوذية من عقيدة الخلاص للثقافة الهندية، والتعالى على المعاناة. ولكن ما هو سبب المعاناة؟ يرى بوذا أن السبب هو الجهل. فنحن لا نرى الأشياء كما هي بالفعل، ومن ثم فإن تصور العالم مشوه بشكل منهجي. إذن عدم معرفة تجربة المعاناة، وعدم معرفة سبب المعاناة، وعدم معرفة طرق تجنبها - هذا هو الجهل القاتل. تذكرنا هذه الجملة بادعاء سقراط ألا أحد

قارن: آلان دو. بوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٢٣.

(**) مذهب سامخيا (بما في ذلك الخلافات مع العقائد المتنافسة)، تمثل النظرية. انظر:

Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p.13.

(***) مدرسة اليوجا (في هذا السياق) واحدة من المدارس الأرثوذكسية الست الرئيسية للهندوسية، وتمثل الممارسات العقلية والجسدية المقابلة.

Ibid, p.13.

(48) Ibid: p. 13.

(٤٩) وفيق غريزي: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، ص ص ١٨٠ - ١٨١.

(50) Ibid, p.13.

يخطئ أو يرتكب خطأ عن علم^(٥١). ومن هنا تتضح رؤية شوبنهاور للبوذية كطريقة للتخلص من المعاناة.

يرى بوذا أنه من الجنون التعلق بقيم عابرة، والصراع عليها. فعندما نعاين قيمًا عابرة مثل (خسارة- مرض- شيخوخة- موت) فإننا نصاب بخيبة أمل. ولكن هذه المعاناة وهم، ولا يمكن الحفاظ على الوهم. ومن هنا يسعى العلاج البوذي لتجنب خيبة الأمل عن طريق تجنب التعلق بالذات. وعلى وجه الخصوص فإن العلاج البوذي، في هذا الصدد، يتعلق بتتمية موقف "التخلي". فالأشياء التي نعتقد أنها مهمة صعبة للغاية لا تستحق القلق أو التعاسة أو الانفعال، أو الغضب، أو الألم بشأنها. إن الرغبات والعواطف والانفعالات هي تفسيرات عن تعبيرنا للعالم. فإذا كان تفسيرنا مخالفًا، لما هو عليه العالم حقًا، فستحدث التعاسة^(٥٢).

تم تطوير البوذية على أساس المفاهيم الهندوسية ولاسيما سامخيا واليوجا. أهم تقنيات التأويل vipassana وهو تفسير لاكتشاف العيش بالتفلسف (العيش الجيد) قبل بوذا في القرنين السادس والخامس ق. م. وبناء على ما سبق يمكن القول إن البوذية تتميز بتركيز واضح على المعاناة ونية علاجية واضحة. ويبدو أن عقلية العلماء البوذيين كانت قريبة من العلم التجريبي. كما اتفق بوذا مع مدرسة اليوجا بقدر ما يمكن دحض النظريات من خلال الحجج وليس العادات. فتحرير الذات يتطلب ممارسة الحياة. ويجب على المرء التخلي عن الرغبة والأنانية، كما يجب استكمال ذلك وتأكيده بالتحقق التجريبي^(٥٣).

خلاصة الأمر إن التصوف وسيلة للخلاص من الألم والمعاناة، فالتصوف تجاوز للذات، كما أنه اتصال مباشر بالله. أما التصوف في الفيدانتا: فهو الاندماج التأملي مع الواقع. وهذا الاندماج وسيلة للعلاج الفلسفي^(٥٤) وفي البوذية يتم التخلي تمامًا عن فكرة الذات. ولذا فإن معرفة أنه لا توجد ذات دائمة ينظر إليه بوضوح على أنه إنجاز فلسفي علاجي. فلا يمكن لأي عاطفة تتطلب الاعتراف بوجود الذات الدائمة. مثال: الجشع هو فشل في فهم أنه لن يدوم أي شيء من الأشياء

(51) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy: p. 24.

(52) Ibid, p.24.

(53) Ibid: p.13.

(*) كانت Therapeutae طائفة يهودية ازدهرت في الإسكندرية، وأجزاء أخرى من شتات اليهودية الهلنستية في السنوات الأخيرة من فترة الهيكل الثاني. يقصد بمصطلح "علاج" الشخص المرافق للآلهة، على الرغم من أن المصطلح، والصفة المرتبطة بالعلاج، تحمل في النصوص اللاحقة معنى الحضور للشفاء، أو العلاج بالمعنى الروحي أو الطبي، ويقصد به الحياة النشطة والتأويلية للأسينيين، وطائفة أخرى ترمز للزهد والتأمل. انظر

Ibid: p. 16.

التي يسعى المرء للحصول عليها، يجب أن نفهم أيضًا أن الجشع بطبيعته، لا يشبع. فكل إنسان أحمق، لأنه مرتبط بشدة بالأنا. وتجميع أنواع الأشياء المادية، على الرغم من أن الحياة قصيرة وأن العالم عابر مثل الحلم^(٥٤).

(هـ) السعادة والألم عند شوبنهاور:

غاية الحكيم ليست حياة مليئة باللذة، بل خالية من الألم. فكل لذة متعة، وكل سعادة ذات طبيعة سلبية، بينما الألم ذو طبيعة موجبة. هكذا يرى شوبنهاور^(٥٥). إن أعظم حكمة هي جعل الاستمتاع بالحاضر هو الهدف الأسمى للحياة، إن هذا الهدف هو الواقع الوحيد، وكل شيء آخر ليس سوى لعبة فكرية. إن الأساس الكامل الذي يركز عليه وجودنا هو الحاضر. الحاضر الزائل دائمًا، إنه يكمن، إذن، في طبيعة وجودنا أن يتخذ شكل حركة مستمرة، ولا يقدم أي إمكانية لتحقيق الراحة التي نسعى إليها^(٥٦).

إن السعادة حلم والألم حقيقة. لذلك يتوجب على الإنسان، عندما يقيم حصيلة حياته، أن ينطلق من معيار الشرور والآلام التي تجنبها، لا من المتع والمباهج التي تذوقها كما يجب أن يتعلم من المبحث الفلسفي للسعادة، أن الحياة السعيدة حقًا هي الحياة التي فيها شقاء أقل وقابلة للتحمل. وأهم عنصر في سعادة الإنسان أو تعاسته هو ما يشغل باله ويملاً وعيه. فالأعمال العقلية لا بد أن تزود البشرية بالكثير من الطاقة التي ستعود عليه بالنفع، مقتنعًا في الوقت نفسه بأن الحياة انتصارات وإخفاقات، وهذا يتطلب من الإنسان استعدادًا نفسيًا كبيرًا^(٥٧). إذن، هل يوجد أحد سعيد؟ هل يمكن أن يكون هناك أحد يعيش بسعادة؟ لا يرى شوبنهاور ذلك.

في المقام الأول لا يكون الإنسان سعيدًا أبدًا، لكنه يمضي حياته كلها في السعي جاهدًا لتحقيق شيء يخيّل إليه أنه سيجعله كذلك، ونادرًا ما يحقق هدفه. وعندما يحققه، فإنه سرعان ما يشعر بخيبة الأمل: في معظم الأحوال يكون محطماً في النهاية ويصل إلى الميئاس، وقد هدأت حبال الأشرعة والصواري. ثم يصبح الأمر سيان، سواء كان سعيدًا أم بائسًا، لأن حياته لم تكن أكثر من لحظة راهنة تتلاشى دائمًا، وقد انتهت الآن. إن الحياة متقلبة، ونحن لا نعرف ماذا

(54) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, pp. 25, 51.

(٥٥) شوبنهاور: فن العيش الحكيم، ص ١٥٨.

(56) Arther Schopenhauer: Studies in Pessimism, P.38

(٥٧) المصدر نفسه، ص ص ١٥٩، ١٧٩.

يخبئ لنا القدر البائس في هذه اللحظة بالذات، المرض، الاضطهاد، الفقر، التشويه، فقدان البصر، الجنون، والموت^(٥٨).

يعلّمنّا شوبنهاور قواعد السعادة العملية، سواء بنحو صريح أو ضمني، بنحو صريح لأنه ضمن مؤلفاته الأخيرة كتابه (فن أن نكون سعداء)، وبنحو ضمني لأن التحرر من الأمل هو أيضًا فرصة للتحرر من خيبة الأمل، خاصة إذا كان الأول يمثل نوعًا من الانتظار والقلق الشديد، فنحن نحتاج إلى آمال بلا يقين، آمال بلا أمل، وتعلّمنا الحياة أن الاعتراف بانعدام الأمل (في انتظار تحقق هدف ما)، قد يكون عامل إبداع وتحرر وإثبات للذات^(٥٩).

إذن السعادة هي ألا أبحث عن السعادة. بل يجب عليّ أن أترك البحث عن السعادة، لأن البحث عن السعادة هو نفسه بمثابة المصدر الأول للشقاء الإنساني، فالسعادة مطلب استيهامي، لا ينتهي سوى إلى الشعور بالخيبة والإحباط. في المقابل يبقى التركيز على تقليص دائرة الشقاء وتقادي الألم إجراءً واقعيًا ممكنًا وكافيًا لأجل تحقيق متعة العيش. يتحقق ذلك عبر شرطين أساسيين: أسلوب حياة بسيط وصحي، والقدرة على التحكم في الانفعالات. فمن الحكمة أن يقنع المرء برجاء السعادة، لا أن يطمع في حصولها، فأنا لست كائنًا إلا في الحاضر كما نستوحي ذلك من شوبنهاور^(٦٠). ولذا لا يطمح شوبنهاور في تحقيق السعادة والحصول عليها، بل تقليص الشقاء.

إن الركض المتواصل وراء وهم السعادة هو المسؤول عن تكدير سنوات الشباب وجعلها تعيسه^(٦١). كما أن لحظات الفرح والسعادة تأتي من الإنجاز الذي ننجزه بدوافع تخصنا. فعليك أن تعرف التكوين الذي يناسب طموحك أنت بالذات، وهذا ما نستلهمه من نيتشه. فعليك أن تكون أنت هو أنت بالذات. وفي هذه النقطة يتفق نيتشه مع شوبنهاور^(٦٢).

إن الإنسان، في المقام الأول، لا يكون سعيدًا أبدًا، بل يقضي حياته كلها في السعي وراء شيء يعتقد أنه سيجعله كذلك، ونادرًا ما يحقق هدفه، وبعد ذلك، فإن الأمر واحد سواء كان سعيدًا أو بائسًا، فحياته لم تكن أكثر من لحظة حاضرة تتلاشى إلى الأبد، والآن انتهت. وعلى الرغم من أننا نعيش دائمًا في انتظار شيء أفضل، إلا أننا، في الوقت نفسه، غالبًا ما نتوق إلى استعادة الماضي مرة أخرى. إننا ننظر إلى الحاضر باعتباره شيئًا يجب أن نتحمّله مادام موجودًا، ولا

(٥٨) إرفين يالوم: علاج شوبنهاور، ص ٢٩٣.

(٥٩) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٥٧، ٧١.

(٦٠) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٦١) شوبنهاور: فن العيش الحكيم، ص ٢٠٤.

(٦٢) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ١٠١، ١١٥.

يخدم إلا كوسيلة لتحقيق هدفنا. ومن ثم فإن أغلب الناس إذا نظروا إلى الوراء عندما يصلون إلى نهاية حياتهم، سيجدون أنهم كانوا يعيشون طيلة الوقت في حالة مؤقتة: وسوف يفاجأون عندما يجدون أن الشيء الذي تجاهلوه وتركوه يفلت من أيديهم دون أن يستمتعوا به، كان مجرد الحياة التي أمضوا كل وقتهم في انتظارها (٦٣).

(و) الشفقة، العدالة، المحبة، التضحية، كعلاج فلسفي عند شوبنهاور:

الشفقة إذن ميل عن الذات إلى الغير. وعند شوبنهاور الشفقة سر الأخلاق، ذلك أن الفعل الذي لا يهدف إلا إلى استعادة الفاعل، مرذول لأنه أناني، والأنانية تنافي قيم الأخلاق، والفعل الأخلاقي حقاً هو الذي يهدف إلى إبعاد الشقاء عن الغير، أو إلى جلب السعادة له، والشفقة تمتزج فيها الذات مع الغير. وهذا ما يرفضه نيتشه الذي يرى أنني أشعر بالشفقة لأنني أرى في هذا الغير نفسي. ومن الشفقة تستمد العدالة، ذلك أن أول درجة ناشئة من الشفقة تعترض الشرور التي ستحدث للآخرين (٦٤). بعكس نيتشه الذي يرفض الشفقة والغيرية.

إن الرغبة في العدالة هي اعتراف من الفرد بأن غيره يشاركه في نفس ماهيته، أي في الإرادة، أو الشيء في ذاته إلى الدرجة التي تمنعه من ارتكاب الظلم نحوه، أي أننا نعترف بحق الغير في التمتع بكل ما له من حقوق. والشفقة لا تنفصل عن هذا الشعور، كل ما بينهما من اختلاف أن العدالة سلبية في طبيعتها، بمعنى امتناع عن إيقاع الظلم بالآخرين بالاعتداء على حقوقهم، بينما الشفقة شعور إيجابي يدفعنا إلى ما هو أسمى من العدالة، إلى حب إخواننا في الإنسانية وفق نظرية شوبنهاور (٦٥).

يرجع شوبنهاور نظريته في العدالة الأبدية والفضيلة إلى "الفيدا" الهندية التي تقوم فلسفتها على أن الإنسان في هوية مع غيره من الكائنات. كما أن فضيلة الشفقة عند شوبنهاور، تدفعنا في بعض الأحيان إلى إنكار الحياة، وهذا ما يسمى بالتضحية. فإذا رأينا أن سعادة عدد كبير من الناس تتوقف على تضحيتنا بأنفسنا أي إنكار حياتنا، لم نتردد في التضحية بها وإنكار إرادة الحياة فيها، كما يرى شوبنهاور (٦٦).

شهداء الحقيقة من هذا النوع أيضاً كسقراط، والذي ساعد على إسعاد الناس بتبديده بعض الأوهام والأخطاء الشنيعة مضحياً في ذلك بحياته في غير تردد. وفي هذه الحالة لا تكون الشفقة

(63)Arther Schopenhauer:Studies in Pessimism, P.35

(٦٤) وفيق غريزي: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، ص ص ١٩١، ١٩٤.

(٦٥)المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(٦٦) وفيق غريزي: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم ، ص ١٩٦.

موجهة إلى أفراد معينين، وإنما إلى النوع الإنساني بأكمله. ولكن الانتحار فناء للفردوس ليس للنوع الإنساني، حيث تبقى الإرادة في بقاء النوع الإنساني كله، والحياة كلها، رغم غياب الفرد، ومن ثم فإن الانتحار ليس قضاء على إرادة الحياة. وهو أبعد ما يكون عن إنكار الحياة، وإنما توكيدها، هذا ما يؤكد شوبنهاور ومن ثم تضحك الحياة من الانتحار، إذ من يدعى أن الانتحار وسيلة للتخلص من إرادة الحياة، فهو على خطأ. والعدالة تقتضي ألا نؤذي الآخرين، وتلك هي المحبة. وفي هذه المحبة يرتفع الإنسان فوق مبدأ الفرد، فيشعر بأن الوجود بأسره كل واحد، فما الحب إلا الشعور بوحدة الوجود، وبأن سعادة الواحد هي سعادة الآخر، فيكون الجميع في مشاركة وجدانية واحدة. ومن هذا الشعور بالإيثار والوحدة ينبع الخير، وبه تقوم الفضيلة. فمبدأ الفردية يفصل بين عالمين: عالم الرذيلة وعالم الفضيلة، أو بين الخير والشر. فإذا ما تجاوزنا هذه الفردية، دخلنا عالم الفضيلة^(٦٧).

كان شوبنهاور متناغمًا مع وظيفة الحب، فالهدف الأسمى لجميع علاقات الحب أكثر أهمية، فعليًا، من جميع الأهداف الأخرى في حياة الإنسان، فالحب تشكيل للوجود، هو التكوين الخاص بالجنس البشري، والحب يدفعنا إلى إرادة العيش. والحب ليس سوى التجلي الواعي لاكتشافه الخاص بإرادة العيش^{(*) (٦٨)}.

ثالثًا: العيش بالتفلسف عند نيتشه:

أ- تأثير شوبنهاور على نيتشه:

في آرائه الأولى، كان نيتشه مدينًا لفيلسوف كان قد اكتشفه في عمر الحادية والعشرين حين كان طالبًا في جامعة لايبزج، في خريف عام ١٨٥٦، في مكتبة الكتب المستعملة في شارع بلو مبخاسه في لايبزج. كان قد حمل بالصدفة نسخة من كتاب "العالم إرادة وتمثلاً"، الذي كان مؤلفه قد مات قبل خمس سنوات: وضعت كتاب شوبنهاور في يدي وكان مجهولًا تمامًا بالنسبة إليّ.

^(٦٧) المرجع نفسه، ص ص ١٩٤-١٩٩.

^(*) إن الحقيقة المطلقة (براهمان) لا تزول. إذ ينبغي عدم التشبث بالظواهر العابرة يعني التماثل مع البراهمان، السبب النهائي لكل ما هو موجود ليكون الهدف أسلوب حياة sanny asin. لكن السبب قد يكون ببساطة أن إبداعات قوة الحياة مرتبطة دائمًا بالمعاناة. ومع ترجمة الأوبانيشاد في أوائل القرن التاسع عشر، أعرب شوبنهاور عن أسفه لأن الفلسفة قد تم إقصاؤها لموضوع نظري وتجريدي، مع أن الأوبانيشاد كانت فلسفة علاجية عملية، مثلما أن هدف الفلسفة تحقيق رؤية الواقع الذي من شأنه أن يؤدي إلى الذات، أي إلى فهم الذات والتحول الذاتي. self- understanding and self- Transformation انظر

Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, pp. 16, 47.

^(٦٨) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٩٤.

وبدأت تقلب الصفحات لا أعلم أي روح حارسة كانت تهمس لي: "خذ هذا الكتاب" إلى المنزل". في جميع الأحوال، هذا ما حدث، مع أنه كان مناقضاً لعادتي بعدم التعجل بشراء كتاب أبداً في المنزل، رميت بجسدي عند زاوية الصوفا مع كنزي الجديد، وبدأت بالسماح لتلك العبقرية الكئيبة الديناميكية بالتأثير فيّ. كان كل سطر يصدق بالإنكار والنفي، والتسليم^(٦٩).

غيرَ العجوز حياة الشاب، وكان جوهر الحكمة الفلسفية، كما فسرّها شوبنهاور، يكمن في ملاحظة أرسطو في كتاب الأخلاق لنيقوماخوس: يسعى الحكيم إلى التحرر من الألم، لا إلى السعادة. ومن ثم ينبغي علينا توجيه هدفنا لا نحو ما هو بهيج ومستساغ في الحياة، بل نحو تجنب ضرورها التي لا تحصى. الحصة الأسعد ستكون من نصيب الإنسان الذي أمضى حياته من دون ألم كبير، جسدي أو عقلي. يقول نيتشه: "نعلم أن الحياة تتكون من المعاناة، وأننا كلما جهدنا أكثر في محاولة الاستمتاع بها، ستزداد عبوديتنا لها"^(٧٠).

ويذكر نيتشه عن شوبنهاور المربي: يعلمني ذلك الفيلسوف الحقيقي كمرّب: كيف يمكنني أن أكون بسيطاً وصادقاً في الفكر والحياة. إنني أفهمه كما لو أنه قد كتب كل شيء لي. إنه لا يتصنع على الإطلاق، لأنه يكتب لنفسه، ولا أحد يرغب في أن يكون مخدوعاً، على الأقل الفيلسوف، الذي وضع أمام نفسه القاعدة التالية: لا تخدع أحداً، ولا حتى نفسك!^(٧١).

فعلى الفيلسوف أن يكون صادقاً جداً، وهو أمر قد أصبح في عصر الرأي العام واحداً من الأفكار الخاصة الممنوعة. إن كتابة إنسان مثل هذا، زادت حقاً من فرحة العيش على هذه الأرض. منذ أن تعرفت على هذه الروح القوية والحرّة، سأراهن عليه، إذا حصلت على مهمة جعل العالم مريحاً^(٧٢).

لدى شوبنهاور، علاوة على الصدق، سمة أخرى ألا وهي الفرح الذي يبهج حقاً. إنه مفرح للآخرين وحكيم لنفسه، فالمفكر الحقيقي ينشر البهجة والحياة دائماً، ويعبر عن بصيرته الإنسانية، بثقة وبساطة، وشجاعة وقوة، وصرامة، لكن في كل الأحوال كمنتصر، وهذا هو ما يفرح المرء بعمق^(٧٣).

(٦٩) آلان دويوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٥٧.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٧١) نيتشه (٢٠١٦): شوبنهاور مربيّاً، ترجمة: قحطان جاسم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط ١، بغداد، ص ص ٢٨-٢٩.

(٧٢) نيتشه: شوبنهاور مربيّاً، ص ٣٠.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٣١.

يعلمنا شوبنهاور أن نميز بين الأشياء التي تحت حقًا على سعادة الإنسان إنه يعلمنا أنه لا الثروة ولا السمعة أو التعليم يمكنها أن تنقذ الفرد من اليأس العميق الذي يحسه بسبب قفافة وجوده، وأن كل سعى نحو هذه القيم يكتسب معنى فقط إذا تم إخضاعه إلى أنبل وأسمى الأهداف: أن تريح القوة لكي تستخدمها لمساعدة الطبيعة، وأن تصحح قليلاً من حماقتها في البداية لنفسك فحسب، لكنه في نهاية المطاف من أجل الجميع. هكذا يرى نيتشه شوبنهاور، فأن تعيش معناه أن تكون في خطر دائم. ولكن هل بقي نيتشه على اعتقاده بصحة ما يؤمن به شوبنهاور طيلة الوقت؟^(٧٤).

(ب) اختلاف نيتشه عن شوبنهاور:

رغم تأثر نيتشه بشوبنهاور، إلا أن فكر نيتشه قد أصبح له استقلاليتته، فقد غيّر نيتشه تدريجيًا فلسفته المتعلقة بالألم، ومعها نظريته بشأن صعوبة الحياة، وكان قد انغمس في إيمان جديد. لقد أحس أنه كان عجوزًا في بداية حياته جراء تأثره بأراء شوبنهاور، ولكنه بعد ذلك اختلف مع تعاليم شوبنهاور وبعض أطروحاته^(٧٥).

إحدى تلك الأطروحات هي أن الإنجاز وهم، ينبغي على الحكماء تكريس أنفسهم لتجنب الألم، بدلًا من السعي وراء اللذة، وأن يعيشوا بهدوء، كما نصحهم شوبنهاور، في غرفة صغيرة مضادة للنيران، وهي نصيحة بدت لنيتشه الآن جبانة وغير صحيحة في آن، ومحاولة منحرفة للبقاء. حيث يتم تحقيق الإنجاز لا عبر تجنب الألم، بل عبر تحديد ذروته لكونه طبيعيًا، وخطوة لا يمكن تجنبها على الطريق نحو التوصل إلى أية غاية جيدة، مما ساعد على تغيير نظرة نيتشه. وكان تفكره بالأفراد القلة في التاريخ والذين بدوا أنهم قد عرفوا إنجازات الحياة فعليًا، وهم على حد وصف نيتشه ينطبق عليهم مصطلح "السوبرمان" أو الإنسان المتفوق أو كما هو دارج (الإنسان الأعلى)^(٧٦).

كان نيتشه يشعر بأنه على الرغم من أن الوجود ألم، فإن الرد لا يكمن في إنكار الحياة، وإنما في تأكيد الحياة. على الرغم مما تحفل به من معاناة وألم. فالمعاناة ليست حجة ضد الحياة. ولذا علينا تقبل الحياة وتأكيدنا مع الإدراك الكامل للعبء المخيف للوجود، والتغلب على النزعة التشاؤمية. فنيتشه يقول: "طموحي وعذابي وسعادتي أن أتجاوز محيط الوعي المعاصر بأسره، وأن أقهر بالفعل النزعة التشاؤمية"^(٧٧).

^(٧٤) المصدر نفسه، ص ص ٤٢-٤٥.

^(٧٥) آلان دويوتون: عزاءات الفلسفة، ص ص ٢٦٠-٢٦١.

^(٧٦) آلان دويوتون: عزاءات الفلسفة، ص ص ٢٦١-٢٦٢.

^(٧٧) جاك شورون (١٩٧٨): الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح

إمام، سلسلة عالم المعرفة، يناير، ص ٢٢٨.

ثم تملك نيتشه فكرة الإنسان الأعلى (المتفوق)، فطرح مشكلة معنى الوجود الإنساني نفسها بقوة جديدة. فالإنسان الأعلى (المتفوق) موجود عظيم وإنسان حقيقي، وهو الإنسان الذي يسيطر على عواطفه ودوافعه، بحيث يتمكن من تقبل الحياة بألمها ومعاناتها. وفي الوقت نفسه يحياها بكل امتلائها، وعلى نحو مبدع. وهو وحده الذي يمكنه تحمل الحقيقة وأن يجد الحياة قابلة للاحتمال^(٧٨).

إن الحياة عند نيتشه تعني: الشجاعة، والطموح والكرامة، وقوة الشخصية، والفكاهة، والاستقلالية التي تعني وعياً موازياً للنفاق، والخضوع، والاستياء والتزمت. والفن هو المحفز الأعظم على الحياة، كما يقول نيتشه^(٧٩). ولذا جاءت شذرات نيتشه وأقواله المأثورة بمثابة تجارب فكرية، ورؤى جيدة للحياة الجيدة في كون متغير، فهي مصطلحات تجريبية ووجودية ذات صلة بأسلوب حياة الفرد. ومن ثم فإن شذرات نيتشه شكل تجريبي لفلسفة الحياة^(٨٠). ليس هذا فحسب، وإنما لطريقة عيش الحياة، عيشاً جيداً يقوم على نمو الفرد، نمواً روحياً وثقافياً وفنياً، وكذلك نمو الحضارة، ليست القومية فقط، وإنما الحضارة العالمية، ولذا فإن رؤية نيتشه للأخلاق، بمفهوم نيتشه العدمي، رؤية كونية لنمو الحضارة الإنسانية، تتضمن الطريق التجريبي للحياة الجيدة من أخلاق الصدق والشهامة والمروءة، والطموح والإبداع، وهذا هو العيش بالتفلسف الذي قدمه نيتشه، يتسنى من خلال أخلاق السادة وليس أخلاق العبيد التي تميل إلى انفعالات الخوف، واليأس والعجز والنفاق. ولذا فإن أخلاق السادة وأخلاق العبيد، على نحو ما قدمه نيتشه، هما المحددان الأساسيان لنمو النوع البشري والحضارة. يصنف نيتشه القيم إلى نوعين: قيم السمو، وهي التي تدعم إرادة الحياة مثل: الجرأة، والتفوق، الإبداع، تحقيق الذات.. إلخ. كما أن هناك قيماً معادية للحياة مثل: الذنب، الضغينة، الخوف، الانتقام.. إلخ. ^(٨١).

ثمة سؤال واضح: هل للتفكير الفلسفي دور في بناء الحضارة المعاصرة؟ بل وفي كافة مستويات العقل والمؤسسات والسلوك وتنظيم الحياة؟

والإجابة هي أن الفلسفة هي السلم الذي ارتقته الحضارة المعاصرة صعوداً متدرجاً نحو تحسين قدرة الإنسان المعاصر على التفكير في مواجهة الأوهام، وتحسين قدرته على العيش. وقد اتضح أن نيتشه، قرر أن الحضارة تحتاج لتغليب الانفعالات المبهجة، وقيم السمو، وقوى الحب. إذ عندما يتغلب الشق الآخر تدخل الحضارة طور الانحطاط والانهيال^(٨٢).

^(٧٨) المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

^(٧٩) آلان دوبرتون: عزاءات الفلسفة، ص ص ٢٦٤، ٢٦٧.

^(٨٠) جينيفر راتنر - روزنهان (٢٠٢٢): نيتشه الأمريكي، ترجمة: حنين يعقوب، ط ١، دار بغدادية، ص ٢٨٤.

^(٨١) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ٥٩.

^(٨٢) المرجع نفسه، ص ص ١٥، ١٨، ٥٩.

ففي الحقبة المعاصرة سيعرف نيتشه الفيلسوف بأنه طبيب الحضارة بمعنى أن وظيفة الفيلسوف هي تشخيص أمراض الحضارة، واقتراح وسائل العلاج التي قد تشمل على الأرجح كل مناحي الحضارة من اللغة إلى الأخلاق والسياسة، ومن النظريات الكبرى إلى الحياة اليومية^(٨٣). إن السمة المميزة للعيش بالتفلسف هي أن الفلسفة أصبحت ممارسة تطبيقية عملية. ومن ثم فإن هدف العلاج الوجودي هو إيقاظ الوعي الذاتي، واكتشاف مكانة الفرد في العالم^(٨٤). وكما سيتضح من خلال هذا الفصل، أنه مع نهج نيتشه الوجودي، عادت الفلسفة أخيراً إلى كونها موقفاً ملموساً، وطريقة حياة، وطريقة لرؤية العالم^(٨٥).

وحين تعطل عقلك فلن تتلقى أي أمر من داخل ذاتك، ولن تحسن التصرف سوى بدافع الخوف من العقاب أو الطمع في الجزاء، كما هي أخلاق العبيد، كما يرى نيتشه، فالعقل هو أداة التحكم في الانفعالات. وعندما تعطل عقلك تغطي عليك الانفعالات: الغضب، الخوف، الحزن، الغيرة... إلخ، ومن ثم تقع في الشقاء^(٨٦). فعلى ذلك يكون درس نيتشه هو تنمية غرائز النمو (الطموح، الإبداع....) بدل غرائز الانحطاط (عقدة الذنب، الضغينة.....).

لقد أوضح نيتشه أهمية التساؤلات الأخلاقية، لأن هذه التساؤلات - على حد قوله - تحدد مستقبل البشرية، لكنه لا يتوقف عند الأخلاقيات، بل يريد أن يتجاوزها لبحث في الوجود نفسه، الوجود الإنساني نحو الأفضل، والوصول لمرحلة الإنسان الأعلى المبشر بالبرق، والذي يحمل القيم الجديدة، قيم الأخلاق النبيلة: قيم تغيير الإنسان بالقضاء على اغتراب الإنسان وانفصاله. وفي كتابه "هذا هو الإنسان" ينقد عصره فيقول: "لقد بدا لي آنذاك كما لو كنت قد اكتشفت حياتي من جديد، اكتشفت ما تتضمنه ذاتي. لقد تذوقت كل الأشياء الطيبة، حتى التافهة بشكل لا يستطيع الآخرون أن ينتقدوها بشكل طيب - فانطلاقاً من إرادتي في الصحة والحياة صنعت فلسفتي .. إنني كففت عن أن أكون متشائماً، حيث إن غريزة الشقاء الذاتي منعت قيام فلسفة لليأس"^(٨٧).

إن فريدريك نيتشه، الفيلسوف الألماني الذي ولد وسط الألمان، يرى أنهم غرقوا في المثالية فابتعدوا عن الحياة، وبذلك يرى نيتشه أن طبيعته الخالصة تسمح بنظرة تتجاوز مجرد الآفاق

(٨٣) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٨٤) Simon du Block, Greg Madison (٢٠١٤): Existential analysis, The Journal of Society for existential Analysis, BM existential, London, p. 12.

(٨٥) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p.17.

(٨٦) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ١١٧.

(٨٧) فريدريك نيتشه (٢٠١١): هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، هلا للنشر والتوزيع، ط ١، ص ٤٠٥، ١٩.

المحلية والقومية المحدودة ... وربما نكتشف آثارًا عديدة من الإرادة الطيبة. كما أن نيتشه قد حرر نفسه من الاشمئزاز، لكي يطير لأعلى الذرى، ليجد مرة أخرى الابتهاج^(٨٨).

(ج) السعادة والتعاسة مرتبطتان عند نيتشه:

بحسب إشارة نيتشه، هناك بعض العناصر التي يحتاج إليها البشر على نحو طبيعي من أجل حياة تتميز بالإنجاز. وقد أضاف تفصيلاً مهماً، أن من المستحيل تحصيلها دون عيش فترة بائسة جدًا بعض الوقت. **فماذا لو كانت السعادة والتعاسة مرتبطتين معاً**، بحيث لا بد لكل من يرغب بامتلاك أكبر قدر ممكن من إحدهما أن يمتلك قدرًا مماثلًا من الأخرى. أملك خيار: إما أقل تعاسة ممكنة، وقدرًا من الصبر، أو أكثر تعاسة ممكنة كئيب لتنامي فرط اللذائذ والمسرات اللطيفة التي نادرًا ما يتم التمتع بها^(٨٩).

فلو قررت المضي في الخيار الأول، أملًا بتقليص وتخفيض مستوى الألم البشري، يتوجب عليك كذلك تقليص وتخفيض قدرتها على تحقيق السعادة. فأكثر المشاريع البشرية تحقيقًا تبدو غير قابلة للانفصال عن درجة ما من العذاب، ومصادر مسراتنا العظمى تبدو قريبة على نحو غريب من مصادر آلامنا العظمى. انظروا إلى حيوات أفضل الناس والشعوب إنجازًا وأسألوا أنفسكم ما إذا كان بإمكان الشجرة التي يفترض أنها تنمو إلى ارتفاع معقول مع الطقس السيء والعواصف، وما إذا كانت التعاسة والمقاومة الخارجية وبعض ضروب الكراهية والغيرة والعناء والريبة والقسوة والجشع لا تنتمي إلى الظروف المناسبة التي لا يمكن من دونها لأي نماء عظيم أن يحدث تقريبًا^(٩٠).

لماذا، لأنه ما من أحد قادر على إنتاج عمل فني عظيم من دون تجربة، أو تحقيق مكانة دنيوية مباشرة، أو أن يكون عاشقًا عظيمًا من المحاولة الأولى، وفي الحد الفاصل بين الإخفاق الأولى والنجاح اللاحق، في الهوة بين المكانة التي نتمنى تحقيقها يومًا ما. أيضًا ومكانتنا الحالية، لا بد من الألم والقلق والمعاناة. إننا نعاني لأننا عاجزون عن التحكم بمقادير الإنجاز^(٩١). لما كانت التراجيديا تصور بطبيعة الحال الجانب المأساوي من الحياة، فلقد تحقق ذلك، وأصبحت حياة نيتشه مأساة بكل معنى الكلمة. حيث وجد نيتشه أن المأساة هي التي تعلم الإنسان كيف ينتصر على الحياة، فالحياة هي المأساة الحقيقية، وما المأساة المسرحية إلا صورة منها. ولما كان البطل هو الشخصية الرئيسية في المسرحية، فكذا يجب أن يتحول الإنسان إلى

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٨٩) آلان دويوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٦٨.

(٩٠) آلان دويوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٦٨.

(٩١) المرجع نفسه، ص ٢٦٩.

بطل في الحياة. والبطل هو الذي يأتي بأفعال لا يقوى عليها سائر البشر، لقد أراد نيتشه أن يصبح بطلاً يقول الكلمة التي لم ينطق بها الآخرون، ويفعل ما لم يفعله أحد من قبل، إنه الإنسان الأعلى "المتفوق" الذي سوف يتحرر من قيود الحياة، وينتصر عليها. فالسؤال عن الحكمة المأساوية هو تأكيد لقيمة الحياة^(٩٢).

إن الحل الأخلاقي الذي قدمه نيتشه، هو نوع آخر من الأذهان يختلف عما نراه في عصرنا. فتصبح المغامرة والخطر والألم بمثابة الحاجات الأساسية للإنسان، بحيث يتنفس الهواء الطلق في الأعالي، وبناء على ذلك. ينبغي أن يأتينا ذلك الإنسان العظيم، صاحب الذهنية الخلاقة، إنسان المستقبل، وهذا ما ينشأ عنه بالضرورة العدمية Nihilism^(٩٣).

لا بد من أن نتعلم معاناة كل ما نعجز عن تجنبه، تكون حياتنا مثل تناعم العالم، من نشازات علاوة على نغمات مضبوطة مختلفة، ناعمة وقاسية، حادة ومنبسطة، هادئة وصاخبة، لو أحب الإنسان موسيقى، بعضاً منها فقط، ما الذي يمكن أن يغنيه؟ ينبغي عليه معرفة كيفية استخدامها جميعاً، ومزجها معاً. وكذا ينبغي أن نتعامل مع الجيد والسيئ النابعين من جوهر واحد في حياتنا^(٩٤).

فعندما يتصالح المرء مع قدره الخاص. كما يوصى شوبنهاور ونيتشه، وعندما يكف عن مقارنة نفسه مع أي قدر آخر مدرجاً بأن لكل امرئ سبيله، عندما يدرك المقصود بعبارة "اعرف نفسك بنفسك" وأن يرضى كل امرئ بقدره^(*) الذي يخصه دون سواه، ساعتها يمكن للقدر أن يخضع لبعض التحسين والإبداع أيضاً، وكما يوصي نيتشه بأنه: ينبغي أن تؤمن بالقدر! ويمكن

⁽⁹²⁾De Deneddia, Miranda de Almedia (2006): Nietzsche and paradox, Translated by: Marks. S. Robert, state university, Newyork, p p 2, 5.

قارن: صفاء عبد السلام جعفر (٢٠٠١): محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، ص ١٧١ وما بعدها.

^(٩٣) فريدريك نيتشه (١٩٨٣): أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيصي، ط ٢، ص ص ٩٠-٩١. وانظر أيضاً:

Rebkah peery (2008): Nietzsche, philosopher of perilous perhaps, Algora publishing, Newyork, pp. 1-2.

^(٩٤) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٨١.

^(*)افي "أسطورة سيزيف"، يفترض ألبير كامى بأسلوب بليغ بأن سعادة سيزيف ممكنة، أو لنكتفِ بالقول إن التخفيف من شقائه ممكن، وذلك انطلاقاً من اللحظة التي يتقبل فيها قدره بلا تذكر. وعندما يتقبل سيزيف قدره فإنه في تلك اللحظة بالذات يستطيع أن يحول مأساته إلى شعور إيجابي بالقوة.

انظر سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٧٩-٨٠.

للعلم أن يرغمك على ذلك. أما ماذا سينمو لديك عن ذلك - الإيمان - جبن واستسلام، أم عظمة وجراحة - فهو سيدل على نوعية الأرض التي أُلقيت فيها تلك البذرة. ومن هنا فإن تقبل القدر معناه - الرضا عن الذات، والرضا عن السبيل الذي تسلكه الذات طوعاً أو عنوة، بكامل وعيها^(٩٥).

وعلى ذلك فمفهوم "العود الأبدي" Eternal-return، والذي استعمله نيتشه في العديد من مؤلفاته مثل (هكذا تكلم زرادشت)، و(ما وراء الخير والشر)، يتعلق الأمر بالصورة المجازية الأكثر بلاغة في التعبير عن مسألة الرضا بالقدر. إذ- للتوضيح- لا يتعلق الأمر فقط بمفهوم كوزمولوجي، وإنما يتعلق الأمر بأسلوب في الحياة. ومعناه ألا نكتفى بتقبل القدر كما لو أننا نتحمله عنوة ورغماً عن أنوفنا، وإنما نعشقه بكل جوارحنا، وفي كل جوانبه. وإلى درجة أن نتمنى لو تعود كل لحظة نعيشها بكل تفاصيلها بـ "خيرها" و"شرها" لا فرق، مرات ومرات، وإلى الأبد^(٩٦). لكن السؤال التالي: كيف تحصل حياتك، حياة الفرد. على أعلى قيمة؟ وأعمق قيمة؟ بالتأكيد من خلال أن تعيش فحسب في سبيل خير أندر وأكثر النماذج قيمة^(٩٧). وقد أكد نيتشه أن خلق المعنى في عالم لا يوجد فيه أي تأكيد عالمي للقيم الإنسانية، يجب أن يصبح الإنسان الأعلى (المتفوق) وحده المشرع للقيم الخاصة به. فالمرض والصحة والألم والفرح والحقيقة والخيال هي المواد الخام التي يستخدمها الإنسان الأعلى في سعيه للسيطرة على الذات^(٩٨).

فالقوة. وليس البقاء، هي مقاييس الإنسان. والقوة الحقيقية هي القدرة على استخدام الألم، وليس التغلب عليه فقط. وكما يرى نيتشه إنه: يمكن قياس قوة الروح وفقاً لمقدار الحقيقة التي يمكن تحملها. ومن ثم فإن حبه للقدر، ليس قبولاً سلبياً للقدر، بل إنه القدرة على خلق حياة يقبلها المرء عن طيب خاطر مراراً وتكراراً. وعلى ذلك يريد الإنسان القوة أكثر من الحياة^(٩٩).

غاية الحكمة إذن أن يتقبل المرء نفسه كقدر، وألا يرغب في أن يرى نفسه شيئاً آخر (هذا هو الإنسان). علاوة على مفهوم أن "يحب المرء قدره" (هذا هو الإنسان). بوسعنا هنا أن نترجم هذا المفهوم النيتشوي بدلالة تناسب مزاجنا اللغوي، وبتأويل قد لا يكون دينياً هذه المرة، "الرضا بالقدر"، والذي هو أيضاً بمثابة التعبير الأكثر جدية عن مبدأ المصالحة مع الذات. بمعنى أنه

^(٩٥) المرجع نفسه، ص ص ٧٩-٨٠.

^(٩٦) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٧٨-٧٩.

^(٩٧) نيتشه: شوبنهاور مريباً، ص ٧٦.

^(٩٨) جينيفر رانتر: نيتشه الأمريكي، ص ٣٠٠.

^(٩٩) المرجع نفسه، ص ص ٣٠٠-٣٠١.

يجب على المرء أن يكون هو هو . أو وفق وصية نيتشه على لسان (زرادشت) "كن من أنت" هكذا تبدو الكينونة كأنها صيرورة تقبل الكائن لقدره الخاص^(١٠٠).

وفي كتاب نيتشه "إنساني ، إنساني للغاية" يُسمى كتابًا للأرواح الحرة، فقد أصبح نيتشه روحًا حرة، واستعاد تملكه لنفسه، وتمكن من تطهير نفسه عن كل شيء مغترب عن طبيعته. فلم يعانِ نيتشه من فقدان الإرادة، بل على العكس اكتسب المزيد من الإرادة، كما أعطاه المرض الحق في أن يعكس أنماط حياته، وكما عبر عن المرض فرآه عبارة عن فرض ضرورة التعويض عن الكسل والانتظار والصبر^(١٠١).

إذن يكمن العيش بالتفلسف هنا عند نيتشه في دعوة الإنسان للمبادئ التالية:

- اعرف نفسك بنفسك، كن من أنت
 - اختر قدرك
 - عش في خطر
 - تحمل ألمك وعشه مرات ومرات
 - كن مبدعًا، فنانًا، طموحًا، جريئًا
 - اخلق بنفسك، بوعيك، واخلق قيمك التي تجعلك سيدًا لا عبدًا
- وهنا سيتضح، أن رؤية نيتشه للإنسان والقيم، والحضارة، هي رؤية كونية، تتضمن في الأساس، طريقة للعيش الجيد أو بالأحرى لتعلم فن الحياة الجيدة، لاسيما أن نيتشه يتعامل مع المرض بتقبل وسلام وسكينة.

(د) نيتشه: المرض.. وصحة الكينونة:

هناك قاعدة أساسية. يجب على الإنسان ألا يستنفد طاقته في الانفعالات التي قد يثيرها المرض، من قبيل السخط، والتشكي، والضغينة، والتي هي غرائز الانحطاط في نهاية المطاف. يجب أن نعرف كيف نتعامل مع المرض، كيف نقبل المرض بهدوء وسلام وسكينة واستسلام إيجابي أيضًا. والعبرة هنا أن العلاج فرصة للإصغاء بواسطة الحدس الداخلي إلى ما يطلبه الجسد لمساعدته على الشفاء وفق رؤيته الخاصة التي يجب احترامها^(١٠٢).

ولذا نتساءل: هل المرض ضعف؟ أو بعبارة أخرى هل المرض باعث على التعاسة؟

ليس في المرض ما يبعث على التعاسة عدا تأويلنا للمرض بل قد يمثل المرض فرصة لحياة أكثر كثافة وإبداعًا كما يرى نيتشه. فقد يكون المرض خطيرًا، ولكن تكون روح الإنسان معافاة

(١٠٠) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ٧٨.

(١٠١) فريدريك نيتشه: هذا هو الإنسان، ص ص ٢٣، ٩٨، ١٠٤.

(١٠٢) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ٦٥.

كما ينبغي، وهذا يكفي. فيجب أن ندرك أن المرض جزء من الحياة، وأن نقبله، وطريقة التعامل معه جزء من تعلم العيش^(١٠٣).

وقد مجد نيتشه "القوة المرنة" ووصفها بأنها: القدرة على تطوير الذات، وتغيير الماضي الأليم، وقال بأنها تداوي الجروح، وتعوض ما فقده الإنسان. فلا أحد يستطيع أن يبني لك الجسر الذي يجب أن تعبر عليه نهر الحياة لتصل أينما تريد، لا أحد غيرك قادر على فعل هذا، وحدك أنت من تستطيع، هذا ما يراه نيتشه، كما يرى أيضًا أنه: يوجد في العالم طريق واحد لا يستطيع أحد غيرك أن يسلكه. فالى أين يقودك؟ لا تسأل، فقط استمر بالسير وستعرف^(١٠٤).

علينا أن نتعايش مع المرض. وفرصة أن نتعلم من المرض كيف نعيش بنحو جيد كما ينوه نيتشه في (هذا هو الإنسان)^(١٠٥). فهناك فرصة ليست فقط لكي لا ينتج الجسد المريض فكرًا قويًا، والشرط الأساسي أن تكون كينونتنا معافاة. سيكون المرض بالنسبة لمن هو معافى في جوهره حافزًا للإقبال على الحياة بكثافة كما يقول نيتشه في (هذا هو الإنسان). بل يعترف بلا لبس قائلاً: "بسبب المرحلة الطويلة من المرض اكتشفت الحياة من جديد، بما في ذلك نفسي، وأصبح بوسعي أن أذوق كل الأشياء الطيبة بما في ذلك الأشياء الصغيرة، كما لا يستطيع أحد أن يتذوقها بتلك السهولة" (هذا هو الإنسان). فقد عانى نيتشه طويلاً من المرض، وواجه مرضه، وخلص إلى النتيجة التي قالها: ما لا يقتلني يزدني قوة^(١٠٦).

هذه هي طريقة نيتشه في العيش الجيد، الذي يداوي جروح الفرد، فالقوة، بمعناها الأخلاقي، هي القدرة على خلق الذات، وتحقيق الذات، والمرض ليس ضعفًا، وإنما هو مصدر لهذه القوة، كما أنه من رحم المأساة تخلق الحياة، بل والعيش الجيد.

س: وما دور الجسد (والوجود الجسدي) إذن في العيش الجيد؟

من الوجود الجسدي تتبثق الأفكار والإبداعات والاختراعات والعلوم والأفكار والحضارة.. إلخ. وكان أتباع المدرسة المشائية يمارسون التفكير أثناء المشي، ولذا: "لا تنقوا في فكرة لم تولد في الفضاء المفتوح وفي التحرك الحر حيث عضلات الجسم تشترك أيضًا في الاحتقال". (هذا هو الإنسان). إننا نفكر بواسطة أجسادنا وذلك لأن العقل والجسد شيء واحد. لذلك نفهم كيف كان نيتشه يلح على مسائل النظام الغذائي، والرياضة، والمشي، والرشاقة. والهواء المناسب.. إلخ.

(١٠٣) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٦٦-٦٧.

(١٠٤) جينفر راتنر: نيتشه الأمريكي، ص ص ٣٠، ٣٢.

(١٠٥) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ٦٣.

(١٠٦) المرجع نفسه، ص ٦٥.

فالتفكير حاسة الجسد، بل لا يكون الجسد جسداً إلا بفعل إحساسه بذاته أولاً، وهنا يكمن مغزى الوعي بالذات عند نيتشه^(١٠٧).

صحيح أن العقل هو أداة التحكم في الانفعالات التي يعززها الجسد وتعيق التفكير، غير أن العقل بالتعريف هو الجهد الحسي الذي يبذله الجسد لكي يحمي نفسه من الانفعالات الداخلية السلبية (الخوف، الحقد، الحزن، الكراهية، الغضب.. إلخ)، وهي انفعالات حزينة، تستنزف الطاقة الحيوية بحسب نيتشه، وتحرم الإنسان من فرصة حياة جديدة بأن تعايش. وفي الوقت نفسه حين يفرح الجسد ينعكس فرحة وراحة وقدرة على العطاء في الفكر^(١٠٨).

(هـ) نيتشه: العيش بالتفلسف.. والرؤية الكونية:

فتح نيتشه الطريق أمام حركات القرن التاسع عشر للعقلانية والفكر الحر. يهدف نيتشه إلى إعادة توجيه انتباه الناس إلى حريتهم المتأصلة، والعالم الموجود حالياً. ووفقاً لنيتشه، فإن أي فلسفة تقلل من قيمة الحياة البشرية، تشكل تهديداً لمستقبل البشرية. فنيتشه فيلسوف حياة، أيضاً اقتربت كتابات نيتشه من كونها تمريناً في العلاج الفلسفي من خلال التأمل. بمساعدة الملاحظة النفسية، حول ما هو إنساني - إلى أقصى حد - وما يترتب على ذلك من أنه يمكننا تخفيف عبء الحياة^(١٠٩).

يعالج نيتشه الأزمة الوجودية التي نتجت عن السيناريوهات الدينية للخلاص. وفي المقابل فإن تأكيد الحياة كإرادة للقوة يطور إبداعاً غير محدد في التغلب على العقبات^(١١٠). وكما يقول نيتشه: "دائماً أندھش بشكل كبير حين يبلغني أن أعمالاً كلها فيها شيء مشترك ومميز. وشبه تحريض خفي لكنه مستمر على قلب التقديرات المعتادة والعادات المقدرة. ثم ماذا؟ ألن يكون كل شيء سوى... إنسان مفرط في إنسانيته... إنني لازلت حياً، والحياة على الأقل لم تبتكرها الأخلاق. لأتكلم ضد الأخلاق، خارج الأخلاق.. "ما وراء الخير والشر". هكذا إذن ابتكرت، يوم احتجت إليها "تلك العقول الحرة"^(١١١).

^(١٠٧) سعيد ناشيد: التداوي بالفلسفة، ص ص ٤٨-٥١.

^(١٠٨) المرجع نفسه، ص ٥٢.

^(١٠٩) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, pp. 34-35.

^(١١٠) Ibid, p.35.

^(١١١) فريدريك نيتشه (٢٠٠٢): إنسان مفرط في إنسانيته، كتاب العقول الحرة، ج ١، ترجمة: محمد ناجي، بيروت-

لبنان، ص ٩-١١.

وانظر أيضاً:

Raymond Anglo Bellioti (2013): Juses or Nietzsche, How we live our lives? value inquiry Books series, Amesterdam, New york, pp. 77-78.

إذن علينا أن نحافظ على الإرادة، والتي هي إرادة الحياة، ونحترم الرعاية الصحية للذات، وكذا صفاء الذهن، وراحة البال، ونوع الأصدقاء، وتدبير الانفعالات والرغبات، وبالجمله أسلوب حياة. إذن حتى فيما يتعلق بالصحة البدنية والنفسية، لا تتدرج العوامل الأساسية ضمن مجال الطب، إنما تتدرج ضمن فن العيش^(١١٢).

من الصعب قراءة أكثر من بضع صفحات دون أن ترتطم بإحالة إلى جبال الألب (هذا هو الإنسان). ويعبر نيتشه أنه: من يتقن كيفية تنفس هواء كتاباتي سيدرك هواء المرتفعات، هواء عنيف. على المرء أن يتحضر له. وإلا فهناك احتمال كبير أن يصاب المرء بالبرد. الجليد قريب، والعزلة رهيبه. ولكن يا للسلام الذي تبدو عليه الأشياء تحت الضوء! يا للحرية التي يتنفس بها المرء! كم يحس المرء أنه داخل نفسه! الفلسفة كما فهمتها وعشتها حتى الآن، عيش طوعي في الجليد والجبال الشاهقة^(١١٣).

في جبال الحقيقة لن يكون تسلقك غير ذي جدوى. إما أنك ستتسلق إلى ارتفاع أعلى اليوم، أو ستجرب قوتك بحيث تكون قادرًا على التسلق أعلى الغد. وأن تتسلق نحو هواء الألب الجليدي الرائق كما تسلق الفيلسوف أعلى إلى حيث يتلاشى الضباب والغموض، وحيث ينطق التكون الجوهري للأشياء بصوت مضطرب عسير، ولكن من دون أن تعجز عن إدراكه! ^(١١٤).

تعود جميع تجارب نيتشه إلى رؤية القوة الحقيقية التي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الاستقلال الذاتي الفردي. فالقوة هي معيار قيم الفرد، والقدرة على تسخير الفوضى والاضطرابات داخل الذات، لحكم الذات وفقًا لقوانين من صنعها. ومن ثم فإن الحياة التي تصورها نيتشه هي حياة الفرد الذي خلق نفسه، ودعوة نيتشه للقوة، هي دعوة للوعي الذاتي، هي قوة المرء وقدرته على أن يستمر في الحياة بمفرده. ومن ثم فإن واجب الفيلسوف الأسمى هو قيادة الآخرين للتفكير بأنفسهم. فكما يرى نيتشه أن الحياة بدون معنى، ليست حياة تستحق العيش^(١١٥).

صار علينا أن نحدد لأنفسنا أهدافًا عالمية تشمل الأرض كلها. كما يرى نيتشه، بشرط أن تكتسب معرفة بشروط الحضارة تتجاوز كل المراحل التقليدية الحالية، لكي نكون قاعدة علمية للأهداف العالمية^(١١٦).

^(١١٢) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ص ٧٠-٧١.

^(١١٣) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ٢٧٢.

^(١١٤) المرجع نفسه، ص ص ٢٧٢-٢٧٣.

^(١١٥) جينيفر رانتر: نيتشه الأمريكي، ص ٣٠١.

^(١١٦) فريدريك نيتشه: إنسان مفرد في إنسانيته، ص ص ١٨، ٨٢، ٨٣.

قارن نيتشه (١٩٩٣): العلم المرح، ترجمة وتقديم: حسان بورفيه، محمد الناجي، ط ١، أفريقيا الشرق، ص ١٤١.

إن علاج نيتشه للتشاؤم الثقافي هو الكمال الثقافي. الكفاح من أجل الحقيقة، وسيادتها. له تأثير علاجي في جميع مجالات الحياة، لأنه يجعلنا أقوى. واكتشاف أننا قادرون على خلق قيمنا الخاصة هو مكسب هائل في القوة، وبقدر ما يتم قبول القيم التي تم إنشاؤها ذاتياً. فإن مبدع القيم يحتل مكانة مهيمنة. فالتكيف مع الواقع - في سياق فلسفة نيتشه - يعني قبول تحدي الحياة، والكفاح من أجل التطور الثقافي على أنه عملية إبداعية مفتوحة. وفي مجال الأخلاق يتطلب اكتساب البصيرة التجريب الذاتي والخبرة الحياتية. ومن ثم فلا توجد أخلاق واحدة، إذ يجب القيام بالعديد من المحاولات الجديدة لعيش الحياة، وخلق المجتمع على أفضل نحو. (١١٧).

إذن ذات المرء هي من باستطاعتها أن تخلق تجاربه، وأن تُولف سيناريو حياته. تخيل نيتشه الشاب قوة المفكر وقدرته على التفاوض بين الحرية والقدر، الذات والتاريخ، الإرادة الإبداعية والضرورة. وكيف يكون بإمكان المرء أن يمضي بطريقه إلى الأمام دائماً وألا يتعثر، وأن حياة المرء هي مرآة لكل ما يفكر فيه، وأن كل ما يدور بعقله سوف ينسج واقعه، وأن الحياة الفكرية كحياة الغواص في البحر العميق، أو أشبه بأعماق البحر، تتبثق من أعماق الفكر (١١٨).

يرفض نيتشه مسايرة الرأي العام، للتحرر من أغلال الأعراف والتقاليد. فأولئك الذين لا يشعرون بأنفسهم أنهم أبناء لهذا العصر، لهم على العكس من ذلك، الحق أن يكونوا متفائلين، لأنهم لو كانوا أبناء لهذا العصر، فإنهم سيساهمون في قتل زمنهم وسيهلكون معه. بدلاً من ذلك، عليهم إيقاظ العصر إلى حياة جديدة، والتي يمكنهم الاستمرار فيها بأنفسهم، لكن حتى إذا لم يمنحنا المستقبل باعثاً للأمل، إلا أن الحقيقة الرائعة، أننا نعيش هنا والآن، ستمنحنا الشجاعة أن نعيش طبقاً لقوانيننا ومقاييسنا الخاصة. لنتحمل المسؤولية عن وجودنا وندافع عنه تجاه أنفسنا، ولهذا نريد أن نكون سادة حقيقيين في هذا الوجود، ولا نسمح أن يشبه وجودنا مصادفة طائشة، فالإنسان مجبر أن يعيش حياته بجرأة وخطر (١١٩).

يميز نيتشه بين الإرادة القوية، والتي تؤكد الحياة، والإرادة الضعيفة التي هي إنكار للحياة، وتقويض للذات self-undermining ومن ثم فإن ما يميز نيتشه عن غيره في نقده للدين والأخلاق، هو أنه لا يبحث من أجل حياة أخلاقية أكثر فاعلية، بل يحاول إنقاذ الحياة من الأخلاقية بحد ذاتها (١٢٠). ويقصد الأخلاقية بمعناها التقليدي.

(117) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p.35

(١١٨) جينيفر رانتر: نيتشه الأمريكي، ص ٢٨.

(١١٩) فريدريك نيتشه: شوبنهاور مربياً، ص ص ١٨-٢٠.

(120) Laird Addis (2012): Nietzsche's ontology, North and South Ameirca, By Transaction Books, putgers university Piscataway, NJ, pp71, 119.

And: Vinode Achary (2014): Nietzsche's Meta- Existentialism, library of Congress Cataloging- in publication Data, walter De Gryter GmbH, Berlin, Boston, pp 1-5.

وإذا كان الهدف من العيش بالتفلسف تحقيق نمو الفرد، وتحقيق الذات، أو بالأحرى تحقيق الكينونة، فإننا حين لا نبذل الجهد المطلوب فإن الكينونة تميل إلى الإغفاء، وتميل الغرائز إلى الخمول، ويميل العقل إلى السهو، وتميل الحضارة إلى الانحطاط، وذلك لأن طرق الحياة صاعدة، وتحتاج، من ثم، إلى جهد وكفاح، وإلى طاقة دافعة تسمى الطاقة الحيوية^(١٢١).

فالحياة إرادة حياة لدى نيتشه، كما أن تقدير الذات يرتبط بجذوة الوعي بالذات في غمرة حياة تستنفر الحيرة والتساؤل، ولذا فمن المفترض أننا نبدع ونتحرك في حالة تشابك مع العالم^(١٢٢).

إن العدمية تعني إعادة القيم، ورفض أخلاق القطيع Herd Morality، وإعادة القيم ينبغي أن تكون فيما وراء الخير والشر، والتي يتحلى بها الإنسان الأعلى "المتفوق"^(١٢٣). تولى نيتشه عدمية إيجابية قائمة على معيار القوة، والعمل والممارسة، والصراع والمعاناة، وعلى تخطي الصعاب في الخبرة الإنسانية، التي تشعر شعورًا حقيقيًا برفض الإدانة والخطيئة والشعور بالذنب^(١٢٤). لقد أسقط نيتشه الأخلاق القديمة، لتعليم بدلًا منها أخلاقًا ثورية جديدة. وبالتالي فهو يتحدث عن إنسان متفوق، له أخلاق جديدة تختلف عن أخلاق العبيد^(١٢٥).

تساهم القيم الأخلاقية في التأثير على القدرات الحيوية للغرائز، مع أن هذه الفرضية لم يقلها نيتشه على نحو صريح، لكن بوسعنا أن نستنبطها بسلسلة من أسلوبيه، وهي على قدر كبير من الأهمية. سنضعها على شكل سؤال:

طالما أن الغرائز تميل إلى أعماق العقل، والقيم الأخلاقية تؤثر على صحة الغرائز، أفلا يكون بوسعنا أن نفترض بأن بعض المنظومات الأخلاقية تمثل خطرًا على الصحة العقلية للإنسان، وأنها عامل من عوامل الاضطرابات العقلية، من قبيل الاكتئاب، والانتحار، والفصام والإدمان والهلع.. الخ؟^(١٢٦).

هنا تتضح لنا قيمة المنظومة الأخلاقية التي تنظر للإنسان بالمعنى الواسع المفتوح، كمنتجة لحضارة إنسانية، في مقابل المنظومة الأخلاقية الدينية المغلقة التي تدمر الحضارة. وبالتالي فإن

(١٢١) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ٤٥.

(١٢٢) المرجع نفسه، ص ٤٦-٤٧.

(123) De Deneddia, Miranada de Almedia: Nietzsche and paradox, pp 24, 27.

قارن: فريدريش نيتشه (٢٠٠٣): ما وراء الخير والشر، تبشير فلسفة المستقبل، ترجمة: جيزيلا فالور حجار، مراجعة: موسى وهبة، ط ١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص ص ٨٩-٩٩، ١٤٤، ١٨٣.

(124) Raymond Anglo Bellioti: Juses or Nietzsche, How we live our lives?, p. 69.

(125) Tracy B. Strong (1988): Friedrich Nietzsche and politics of Trans figuration, Expand edition University of California press, Berkely, Loasangles, London, pp. 11, 15.

(١٢٦) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ٧٣.

قلب القيم عند نيتشه ليس مجرد شغف نظري، بل وظيفة علاجية تهتم بالأفراد والحضارات على حد سواء^(١٢٧).

بوسعنا أن نبسط أربع فرضيات أساسية، مسئلة من الرؤية الصحية لنيتشه.

١ - الغرائز مكون أساسي من مكونات العقل، بل هي الطبقة الأكثر عمقاً ضمن العقل، والأكثر تجذراً ضمن عمليات التفكير. إننا نعرف بغرائزنا أيضاً، وبالتالي تقتضي تنمية القدرة على التفكير، ليس نكران الغرائز، وإنما رعايتها يخدم القدرة على التفكير، والقدرة على الحياة.

٢ - هناك مجموعتان أساسيتان من الغرائز:

- غرائز النمو: التي تساعد الإنسان على إنجاز نموه الروحي وتحقيق الذات، بحيث تدفعه إلى الإبداع والنمو والتفوق، وهي تحتاج إلى إرادة وأسلوب، طالما أنها تشبه الطريق الصاعد، هذا النوع من الغرائز يساهم في تطور الحضارة ونموها.

- غرائز الانحطاط: التي تجهض نمو الإنسان، فتدفعه إلى الخمول والتوكل والعجز والذبول. وهي في غياب الإرادة تفرض نفسها تلقائياً، طالما أنها تشبه الطريق النازل. هذا النوع من الغرائز يساهم في تدهور الحضارة^(١٢٨).

ومن هنا ابتكر نيتشه فكرة الإنسان الأعلى (المتفوق) كهدف للإنسانية، يتجاوز الحدود البيولوجية للوجود البشري عن طريق الكمال الثقافي، والفن الذي يتجاوز بتقنياته الخاصة الإدراك اليومي. فالتفسير التكنولوجي للإنسان الخارق ونقصه به (الإنسان الأعلى - المتفوق) هو ما وراء البشر الخالد. وقد تؤدي ما بعد الإنسانية في النهاية إلى التحرر من المعاناة^(١٢٩).

إن فكرة الإنسان الأعلى (المتفوق) تفهم في حدود الاستعاضة عن الأخلاقية بالسعي إلى النهوض بالحياة. وهو تجسد المثل الأخلاقي الأعلى عند نيتشه. فليس هو إنساناً طيباً يخضع للقيم الأخلاقية المعترف بها، ويحاول تحقيق الخير وتجنب الشر، بل هو إنسان يسعى لمزيد من الحيوية في كل شيء. وعليه أن يعطى على ذاته. ومن هنا يرفض نيتشه مصطلح الأبدية Eternity، لأن الحياة صيرورة مستمرة وإمكانية لا تنتهي، وهذه الإمكانية تملأ الحاضر، ولا علاقة لها بالخلص Salvation، ومن ثم يؤكد نيتشه هنا على العدمية، وكذلك فكرة حب المصير Amor fati. لا يريد نيتشه إذن حقيقة عليا، بل يريد أن يتجاوز الإنسان ذاته فحسب، ولا بد لكي يتسع الطريق أمام قوة الإنسان الخالقة من أن تراح كل العقبات من طريقه، حتى يتجاوز الإنسان ذاته على الدوام^(١٣٠). إن نيتشه فيلسوف الحرية وخلق الإرادة، وخلق الذات. تلك

(١٢٧) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(١٢٨) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ص ٧٢-٧٣.

(129) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p. 52.

(١٣٠) فؤاد زكريا (١٩٩٦): نيتشه، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، ص ٤٦.

هي مكانته البارزة. فيلسوف القوة، كما أن حرية الإرادة عنده معيار التفوق. وأخيرًا فالوحدة العضوية والنفسية عند نيتشه في وجود الوعي الذاتي^(١٣١).

في كتاب "العلم المرح" أو "بهجة العلم" يرى نيتشه أن الإنسان الحقيقي هو المغامر الذي يفترض الإيمان بالعلم. فالقول بأن الحقيقة إلهية، أصبح أقل مدعاة للإيمان. فمع العلم يريد نيتشه الاستغناء عن الله، وعما هو متعالٍ مطلق، مع تبني أسس جديدة تسعى إلى الأرض^(١٣٢) من هنا يطلب نيتشه من الإنسان أن يخلص للأرض فيقول: "ألا تدعوا فضيلتكم تتسلخ عن حقائق الأرض لتطير بأجنحتها ضاربة الحياة لتتفخ في الأرض روحها، روحًا بشرية". ومن ثم فإن الإرادة في الابتعاد عن الله، إنها تتجلى في الإنسان المتفوق الذي يكره الرحماء الذين يطلبون الغبطة في رحمتهم. ومن هنا جاء حب الحياة "وحب المصير" كما عبر نيتشه. يقول نيتشه إن الإله قد مات، ونحن نريد الآن أن يحيا الإنسان المتفوق^(١٣٣).

يدافع نيتشه إذن عن معنى الحياة كحرية ومسؤولية: "عش من أجل قانونك الخاص، من أجل حياة أكثر أصالة وحرية من المنظور الوجودي. ويؤكد على القدرات الإبداعية، وذلك للمحافظة على الذات واستيعاب هذه الذات. ومن ثم يدعو نيتشه للعودة إلى المفهوم اليوناني للطبيعة، والذي لا ينفصل عن العلم والفن والحياة^(١٣٤).

إن الموضوع المهيمن لميلاد المأساة ليس الإبداع الفني، كما هو المفترض عادة، ولكن كيف يتم الحصول عليه. وما يكشف عنه، وتأثيره المذهل على الفرد الذي يجرؤ على رفع الحجاب. وهذا لا يتنافى مع رؤيته في أن وجود العالم ظاهرة جمالية، حيث يركز على أن الفن إبداع

⁽¹³¹⁾Bernard Reginster (2007): The will To power and Ethics of Creativity, clarendon press oxford, p. 77.

^(١٣٢) فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ص ١٤٧.

وانظر أيضًا:

Duane, Armitage (2017): Heidegger and The Death of God, Between plyo and Nietzsche, palgrave Macmillan University of scranton, U. S. A, p.3

^(١٣٣) فريدريك نيتشه (١٩٤٨): هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، ج ٢، المكتبة الأهلية، بيروت، ص ٣١٦.

وانظر أيضًا:

Raymond Anglo Bellioti: Juses or Nietzsche, How we live our lives? pp 67, 87.

⁽¹³⁴⁾Vannessa Lemm (2015): Art in Nietzsche and Becoming of life, John D. Caputo, series editor, percepectivness in Continental philosophy, fordham University press, New York, pp2-9.

فردى، وهو أساس النشاط البشري الذي يعمل على خلق الذات، وهو الهدف الأسمى عند نيتشه. ومن ثم فإن الميتافيزيقا الفنية لدى نيتشه تتمثل في الوعي بالذات. والاستقلالية، والإبداع^(١٣٥).

ولكي يدافع نيتشه عن فكره، فقد جعل التفسير الجمالي مركزاً لهذا الفكر، يشمل العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والفنون. فتكون الحقيقة من صنعنا ويحاول نيتشه أن يجيب عن السؤال السقراطي حول أفضل حياة، فيرى أن الحياة بدون تفحص لا تستحق العيش، لأن حب الحياة ليس سهلاً، ولذا كافح ضد المسيحية، فكان البحث عن الحقيقة مغامرة تحتاج الشجاعة كفضيلة رئيسية للمعرفة، والبحث عن الروح الحرة^(١٣٦).

ما علاقة نيتشه إذن بالفينومينولوجيا؟ والإجابة هي التركيز على نهج الحياة باعتبارها عملية صنع المعنى، ومن ثم فإن فلسفته من هذا الجانب إيجابية، تركز على مفهوم الحياة، القوة، الذاتية، مما يثير الاهتمام بالنتائج التي تتعلق بفهم أفضل للوعي الإنساني في تشابهه مع العالم ومع الآخرين، علاوة على فهم أنفسنا. وفي الواقع فإن تجربة نيتشه الوجودية تعكس حركة الحياة الإبداعية، من خلال صنع معنى الحياة^(١٣٧)، ومعنى للذات، ومعنى للعيش الجيد.

لم يُقصِ الإغريق بلاءاتهم، بل هذبوها. ومن ثم يتم تحقيق الإنجاز عبر الاستجابة بحكمة إلى المصاعب التي تمزق المرء. فنيتشه يحثنا على التأمل، لأن السعادة والتعاسة شقيقتان، بل توأمان، إما أن تكبرا معاً، أو تبقيا ضئيلتين معاً^(١٣٨). هكذا يرى شوينهاور أيضاً.

الرضا عن الذات، كما هي وفي كل أحوالها. الرضا عن الحياة، كما هي وفي كل أحوالها، ذلك هو الإجراء الكفيل بحماية الغرائز من مشاعر الأسى والتذمر والندم والحسد والضغينة. وهي مشاعر حزينة تجهض نمو الإنسان، وتهدد صحته، ذلك أن الإنسان لم يبرمج لكي يحتمل الحزن زمناً طويلاً. لقد برمج الإنسان للفرح والرقص والغناء. أفلا يرقص الإنسان ويغني حتى في لحظات الحزن؟ لذا يرى نيتشه أن "الفرح أكثر عمقاً من الحزن" هكذا تكلم زرادشت" وعلى ذلك يغدو الفرح شعوراً بالرضا والاكتفاء، وشعوراً بالطمأنينة إذن^(١٣٩).

تحاول إذن جميع أشكال العيش بالتفلسف تحسين المعرفة الذاتية (معرفة الذات). مما يساعد على اكتساب المزيد من حرية الاختيار. ويمكن تقييد الحرية الداخلية من خلال السيطرة على

(135) Peter Bekowitz (1995): Nietzsche: The Ethics of Immoralist, Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, London, England, p. 45.

(136) Peter Bekowitz: Nietzsche: The Ethics of Immoralist, pp. 228, 237.

(137) Elodie Bonloid and christian (2013): Nietzsche and phenomenology, power, life, subjectivity, Bloomington and Indiana polis, pp 2-6.

(١٣٨) آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، ص ص ٢٩٠-٢٩٤.

(١٣٩) سعيد ناشيد: الطمأنينة الفلسفية، ص ص ٧٤-٧٥.

العواطف، وقمع اللاوعي للرغبات، بهدف الكشف عن الذات، وتحقيق الذات. وعند نيتشه فإن الذات الحقيقية تنبثق من اكتشاف أصيل للفردية Individuality^(١٤٠).

يقترح نيتشه دوراً مهماً للمجتمع ضمن أخلاقياته، وأن هذا الجانب المجتمعي يتبين من خلال التشابه بين حالة الروح وأخلاق الفضيلة، ومن هنا ينظر نيتشه للمجتمعات والأفراد على أنهم أجزاء تكميلية لإرادة القوة. فلا بد أن تكون هناك إرادة متجسدة للقوة، فأنا حي، والحياة ببساطة هي إرادة قوة. إنها تتخلل كل جانب من جوانب الحياة البشرية^(١٤١).

إن نيتشه لا يحب الفضائل السلبية التي جوهرها النفي والتخلي عن الذات. ويوافق على الأنظمة الأخلاقية التي تحفز الأفراد على النمو. على الرغم من أن هذا النمو نسبي للأفراد، إلا أنه أيضاً عملية استمرار الحياة. إنه طبيعة الحياة، وإرادة القوة، ومعيار الأخلاق. فإرادة القوة مجرد مقاومة ضد عقبة محبطة على الدوام، وإلا فلن يكون هناك توسع أو دمج أو نمو. إن مفهوم نيتشه للخير هو التغيير والتغلب، الأمر الذي يستلزم مقاومة جديدة ومتنوعة للتغلب عليها. وإن الشخص من النوع الأعلى (المتفوق) يكون سعيداً عندما يخلق، هذه هي رغبته المحفزة، فالعمود الفقري لقيم نيتشه يتمثل في إرادة القوة، ويتطلب التقدم^(١٤٢).

هذا هو العيش بالتفلسف لدى نيتشه، الذي يسعى لحياة أفضل، وعيش جيد، يسعى لنمو الفرد الروحي ونمو البشر، مما يحقق التفاضل بدلاً من التشاؤم، والاستمتاع بالحياة، بدلاً من رفضها، والشعور بالفرح بدلاً من الألم والمعاناة.

خاتمة

في خاتمة هذا البحث تبين أنه قد اتسعت مجالات الفلسفة التطبيقية (العملية)، فلم يعد دورها هو توجيه النظر للأفكار، ولكن تغيير الأفكار، بل وتغيير المفاهيم والآراء من أجل الحصول على العيش بالتفلسف (العيش الجيد). اتضح ذلك في كل العصور والاتجاهات الفلسفية، وقد رأينا نموذجين بارزين في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ألا وهما شوبنهاور ونيتشه، وهما علامتان بارزتان، بل فارقتان في الفكر الفلسفي.

لا شك أن هناك نماذج أخرى كثيرة على وعي بدور الفلسفة التطبيقي في توفير العيش الجيد فبرجسون Henri Berson (١٨٥٩ - ١٩٤١) مثلاً: يرى أن الوعي أساس الإرادة الحرة. فالحياة في مجملها تطور لا ينقطع، وعن معنى الحياة والوجود يرى برجسون أنه بالنسبة للموجود الواعي: أن يوجد هو أن يتغير، وأن يتغير هو أن ينضج، وأن ينضج هو أن يخلق نفسه

(140) Kristin Wells: Nietzsche's Society, Stance, Vol6, 2013, PP.53,57,58,60.

(141) Ibid, PP. 58,60.

(142) Baniki Konrad: philosophy as a Therapy, p.19.

باستمرار. والقديسون تنعم أرواحهم بالسكينة. فالدين الديناميكي فوق عقلي، ويتمثل في التصوف، أو يستمد أصوله من التصوف الذي يضمن للنفس الطمأنينة والسكينة كتمثيل للعيش الجيد. وحينما يتساءل كامى Albert Camus (١٩١٣ - ١٩٦٠): هل تستحق الحياة أن نحياها؟ وما معنى الحياة؟

يجيب كامى أننا نعيش حياة عابثة، ويرى أن الإنسان يدخل تاريخه الحقيقي عندما يسأل عن معنى الحياة وهل تستحق أن نحياها أو لا تستحق، كما أن كامى لا يكاد يعتقد في شيء اعتقاده في حقيقة التجربة المعيشة والوجود الجسدي.

والسؤال: هل تستحق الحياة أن نحياها أو لا تستحق؟

تعبّر عنه الكلمات الآتية: تعاش الحياة خير ما تعاش بقدر ما تخلو من المعنى. فكلما خلت الحياة من المعنى، كانت أجدر بأن يحياها الإنسان، ثم يكيف موقفه منها تبعاً لذلك. وفي مواجهة العيش يمكن للموجودات الإنسانية أن تحقق منزلتها الرفيعة. ولذا فالإنسان يثور على الموت والانتحار، وهذه الثورة تعطي الحياة قيمتها.

لقد خلق كامى معنى لحياته وعاش تائراً على الحياة، ومات تائراً على الموت. وأهم قضية لديه هي الحرية. فالعيش هو شقاء الإنسان، وعمله الذي يتكرر بلا جدوى مثل (سيزيف). ولذا فإن الوعي بالألم والمعاناة يخلق فينا التحدي لذلك الواقع الأليم فيعمل على تغييره بقوة وتحدٍ. وهذه القوة وهذا التحدي تجسّد للعيش الجيد، ومن هنا فنحن نعيش الحياة بقيم فلسفية تغير واقعنا، بل ومفاهيمنا عن الواقع. ومن ثم فإن القيمة التي تؤكد عليها أسطورة سيزيف هي الشجاعة من أجل الكرامة الإنسانية مما يجعل الإنسان يواجه عبث الحياة. وإذا سلمنا بأن سيزيف يتمتع بنصيب من السعادة، فلا بد أن نسلم بأن استمرار اليأس والسعادة يمكن أن يتولد عنه نوع من السعادة. إن مصير الإنسان لن يكون له معنى إلا في هذا العالم المحدود، والذي يتمثل في السعادة والصدقة والشوق إلى العدل. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يشق إلى المعنى ويسعى إليه. فالتمرد يعطي الحياة قيمتها. هذه هي طريقة كامى في العيش الجيد.

أما وليم جيمس William James (١٨٤٢ - ١٩١٠) فكان لديه بعد براجماتى للعيش الجيد، حيث يرى جيمس أن الحياة الإدراكية تموج بالنشاط والتغير. وهنا نتعرف على الأنا، وجوهره الابتكار، والحرية. يرى جيمس أننا نفكر لنعيش، وأن أفكارنا لا تعدو أن تكون وسائل فعالة لمواجهة ضرورات الحياة ومطالبها، فالحياة مليئة بالنجاح والهزيمة، بالأمل والكفاح، بالرغبة والقيمة. وعلى ذلك تكون المشكلات العينية والتجربة الإنسانية ضمن تيار الحياة المتدفق، وهذه نقطة اتفاق بين برجسون وجيمس.

يتحدث جيمس عن ثمرة التجربة الإنسانية عامة، وحينما يتحدث عن ثمرة التجربة الدينية فيقر بأنها شعور بالانسجام العميق، بالسلام والراحة والغبطة، شعور بأن كل شيء يسير على ما يرام في داخلنا وفي العالم الخارجي، إنها شعور بأن الحياة خلقة ومبدعة. فالدين تجربة روحية تمنحنا الصفاء والسكينة والتوازن الأخلاقي والسعادة. وعندما يتعلق الأمر بقيمة الحياة، فإن هذا يتوقف عليك أنت كشخص، فإذا استسلمت للمتشائم من الآراء (مثل الانتحار) فقد رسمت صورة سوداء قاتمة، لأن عدم ثقتك في الحياة قد أزال عنها كل قيمة كان يمكن أن يعطيها استمرارك في الوجود لها. أما إذا كنت تعيش على مبدأ أو عقيدة، كما يعيش الجندي بالقوة والشجاعة، فإن شخصيتك القوية قد برهنت على أنك ند قوي لما قد يتكاثف عليك من شرور ومتاعب، وأنتك تجد في الجهاد (الكفاح) سرورًا عظيمًا.

إنك أنت من تجعل الحياة ذات قيمة ترغب فيها. وكما يقول جيمس: "لقد حزننا الرأي وعقدنا العزم على أن نجعل الحياة بقدر المستطاع ناجحة". فالعالم ليس شرًا محضًا كما يزعم أنصار التشاؤم، وليس خيرًا محضًا كما يزعم دعاة التفاؤل، بل هو حقيقة مرنة قابلة للتحسن، بشرط أن تصبح عزيمة على أن نستخلص فيه خير ما فيه، ولذا فليست مهمتنا أن نرى العالم خيرًا، بل أن نجعل منه عالمًا خيرًا. وهذا التحسن الذي قصده جيمس لا يعني استئصال الشر، بل معناه قهر الشر والتغلب عليه. وعلينا أن نعترف بأن الشر موجود، لكي نعمل بكل ما لدينا من قوة على محاربتة والتغلب عليه، مما يتطلب جهدًا إراديًا. وهذا ما يحقق لنا السعادة، وهو شعور يأخذ الأفراد نحو الحماسة والحرية، حيث إنهم يقفون في وجه التعاسة التي تهددهم وتفرض نفسها عليهم بشكل عملي.

يتحدث جيمس عن إرادة تغيير الشر. من موقف الخوف مثلًا إلى موقف نضاله. وليس للخير من معنى (براجماتي) إلا الصلاحية والملاءمة لحياة ناجحة خلقيًا ودينيًا لما يجده من سرور وقوة حيوية في استقامته وإخلاصه. وعلى ذلك يرى جيمس أنه لا بد لكتب الفيلسوف الأخلاقية من أن تتحالف مع ذلك النوع التجريبي من الأدب، ومع كتب فنون السياسة ومحبة الإنسانية ومع الكتب التي تدعو للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. ولذا فإن نزعة جيمس البراجماتية هي نزعة عملية مفيدة لحياتنا في مواجهة ضرورات الحياة العملية ودرء ما هو شر وضار في مقابل الإبقاء على ما هو خير ونافع. وفي هذا طريقة للعيش الجيد، وفن العيش الحكيم.

إننا لكي نعيش الحياة على نحو جيد، فلا بد من التحكم في الانفعالات. فالانفعالات تعيق إرادة النمو، وتعبر عن الأفكار السيئة (السلبية) كالحزن والغضب والحقد... إلخ، مما يستنزف قدرتنا على الحياة. علينا البدء من مجال سيادتنا، وهو المجال الذي يتوقف علينا، وتتوقف عليه آراؤنا ومواقفنا وانطباعاتنا وتصوراتنا ومفاهيمنا. ولذا فنحن لا نستطيع تغيير العالم، ولكننا نستطيع

تغيير نظرتنا عن العالم، وعلى النحو الذي يمنحنا قدرة أفضل على الحياة. ولذا فنحن لا نستطيع تغيير الحياة، ولكننا نغير تفكيرنا.

لقد كان فكر كل من شوبنهاور ونييتشه علامة فارقة في تاريخ الفلسفة المعاصرة، وحقيقة الأمر عند شوبنهاور، من وجهة نظري، أنه لم يكن متشائمًا، إذ حينما نحرز هدفًا أو طموحًا أو نجاحًا، لنشعر بالسعادة، فإن اللحظة الحاضرة التي نشعر فيها بتلك السعادة تتلاشى، وتتحول إلى ماضٍ. كما أن الطموح في رغبة أخرى وفي إرادة شئ آخر لا تنتهي، وهذه طبيعة الإنسان، فهو دائمًا يريد، ثم تقف إرادة الحياة لتواجهه بأن ما حققه قد تلاشى، لأن اللحظة الحاضرة قد أصبحت ماضيًا، وهذا لا ينفى السعادة، وإنما يؤكد وجودها دائمًا بجانب الألم، وربما كلما تألمنا وعانينا الجهد الكثير نسعد نتيجة لهذا الجهد. وعلى ذلك يمكن النظر إلى الألم والسعادة على أنهما متآزران. وهذا واقع وليس تشاؤمًا. وربما أحب نييتشه الحياة بصورة مختلفة وعبر عن أن العيش الجيد فيها هو الحب والطموح والإبداع، ومن ثم، مزيد من إرادة الحياة، وكما يؤكد نييتشه دائمًا أن الحياة إرادة حياة، وهذا سر قوتنا وسعادتنا.

نتائج البحث

١- ظهر العيش بالتفلسف جليًا عند أبرز الشخصيات التي تناولتها بهذا البحث ألا وهما: شوبنهاور، ونييتشه. كل منهما تحقق لديه الهدف: تبرير ذاتك، وإدارة ذاتك، وعندما يتصالح المرء مع قدره الخاص، ويدرك عبارة "اعرف نفسك بنفسك"، ساعتها يمكن للحياة أن تخضع لبعض التحسين والإبداع متجهة نحو العيش الجيد، فالعيش بالتفلسف يعني العيش الجيد.

شوبنهاور: يدعونا لأن نعمل بالأسلوب الذي يلبي إرادة النمو التي لديك أنت بالذات، بأسلوب هادف وصادق وأصيل. وحين لا تبذل الجهد المطلوب، فإن الكينونة تميل إلى الإغفاء، وتميل الحضارة إلى الانحطاط. فإذا استطاع المرء أن يعاني أوفر نصيب من الألم، ارتفع إلى درجة أسمى من التألم، ارتفع إلى درجة جديدة، وطور جديد، وهو طور السرور.

استخدم شوبنهاور التفكير العقلاني النقدي في العيش بالتفلسف، وأرجع الوظيفة العملية للفلسفة، كطريقة للعيش الجيد إلى الأوبانيشاد فيدانتا، ولأسيما عقيدة سامخيا، التي تسعى إلى التحرر من المعاناة عن طريق المعرفة، وممارسة الرياضة الروحية (اليوجا): التي تحتوي على معلومات مباشرة لكبح الحواس والقلب والروح، والتحرر من رغبات المخاوف والكراهية، أي كما تدعو البوذية إلى خمود الرغبة وإماتة كل انفعال. والهدف عند شوبنهاور هو التحرر من المعاناة. ومن ثم فالعيش بالتفلسف عند شوبنهاور يعني: نمو التفكير العقلاني في القدرة على تحمل الألم. كما أن العيش الجيد هو نوع من تقليل الشقاء، والتخلي عن الرغبات والتحرر من المخاوف.

نيتشه: الحياة عند نيتشه تعني: الشجاعة، الطموح، الكرامة، قوة الشخصية والإبداع والتفوق، والتي تعني وعيًا موازيًا للنفاق والخضوع والاستياء والتزمت. والفن هو المحفز الأعظم على الحياة، كما يقول نيتشه. والحضارة عند نيتشه: تغلب الانفعالات المبهجة وغرائز السمو وقوى الحب، عندما يتغلب الشق الآخر الذي يسبب الانحطاط والتدهور.

ولذا فالإنسان الأعلى (المتفوق) هو الذي يستطيع أن يسيطر على عواطفه ودوافعه، بحيث يتمكن من تقبل الحياة بألمها ومعاناتها، وفي الوقت نفسه يحياها بكل امتلائها وعلى نحو مبدع. ولذا جاءت شذرات نيتشه على نحو تجريبي لفلسفة الحياة، وطريقة عيش الحياة على نحو جيد يعمل على نمو الفرد روحياً وثقافياً وفنياً.

ولذا فإن العيش بالتفلسف يتضمن طرق العيش الفلسفي التجريبي أو العملي للحياة الجيدة. فليست أخلاق الشهامة والمروءة والطموح والإبداع سوى أخلاق السادة، وليست أخلاق العبيد سوى أخلاق الكسل والعجز والنفاق. وهذان النوعان من الأخلاق هما المحددان الأساسيان لمآلات ومصائر الحضارة البشرية والنوع البشري.

فالخوف عند نيتشه هو العدو الأكبر للتفكير السليم والعيش الحكيم، بل وعدو الحياة. والتخلص من الخوف هو القدرة على الحياة ونمو الحياة، ونمو الذات، ونمو النوع البشري. إن النمو عند نيتشه هو نمو الروح على الفن والموسيقى والثقافة. ومن هنا فإن العيش بالتفلسف عند نيتشه يعني الشعور بالسلام النفسي، والتوازن النفسي، وتقبل حتى المرض بهدوء وسلام وسكينة، بمعنى أن يحب المرء قدره، فالمرض ليس ضعفاً، وليس باعثاً على التعاسة، وإنما هو فرصة لحياة أكثر كثافة وإبداعاً، ومن ثم يغدو المرض وطريق التعامل معه جزءاً من تعلم فن العيش الجيد، ومن هنا جاءت حكمة نيتشه "ما لا يقتلني يزدني قوة". فالقوة، وليس البقاء هي مقاييس الإنسان عند نيتشه، والقوة الحقيقية هي القدرة على استخدام الألم وليس التغلب عليه وهنا يتفق كل من شوبنهاور ونيتشه.

٢ - لم يكن شوبنهاور متشائماً، ولكنه أدرك حقيقة الحياة بعمق، وحقيقة الحياة هي الألم، وتلك الحقيقة لا مفر منها، وهذا ليس تشاؤماً، بل هو فهم عميق لطبيعة الحياة، وفي مقابل الألم، يركز شوبنهاور على تقليص دائرة الشقاء كإجراء واقعي وكافٍ لأجل تحقيق متعة العيش الجيد. وفي كتابه "فن أن نكون سعداء" يرى شوبنهاور أن السعادة هي ألا نبحث عن السعادة.

٣ - يرى نيتشه أن مبادئ العيش الجيد (العيش بالتفلسف)، إعادة توجيه الناس إلى حريتهم المتأصلة، ولذا يُعد نيتشه فيلسوف حياة، يعلي من شأن الحياة، واعتبر أن أي فلسفة تقلل من قيمة الحياة البشرية، تشكل تهديداً لمستقبل البشرية. لقد أوضح نيتشه أهمية التساؤلات الخلقية التي تحدد مستقبل البشرية، ليحدد الأخلاقيات والوجود معاً، ولكن الوجود الإنساني نحو الأفضل.

٤ - اتفق كل من شوبنهاور ونييتشه في أن السعادة والتعاسة مرتبطان، بحيث لابد لكل من يرغب بامتلاك أكبر قدر ممكن من إحداها أن يمتلك قدرًا مماثلًا من الأخرى. ولذا أمامك خيار، إما أقل تعاسة ممكنة، وقدر من الصبر، أو أكثر إيلاّمًا وتعاسة ممكنة كثرمن لتتامي فرط اللذات والمسرات التي نادرًا ما يتم التمتع بها. فالمأساة هي التي تعلم الإنسان كيف ينتصر على الحياة، فالحياة هي المأساة الحقيقية، وفي الحكمة المأساوية تأكيد لقيمة الحياة، وهذا ليس تشاؤمًا ولكنه إدراك لحقيقة الحياة، وبالتالي القدرة على العيش الجيد.

٥ - اختلف نييتشه عن شوبنهاور في مفهوم إرادة الحياة، فنييتشه يعشق الحياة ولا يريد التخلص من إرادة الحياة، كما نادى بها شوبنهاور في فن التخلي أو اللاتعلق، ومن ثم، فالحياة عند نييتشه هي الحب والطموح والإبداع، الحياة إرادة حياة.

٦ - إن هدف كل من شوبنهاور ونييتشه من فلسفتيهما هو أن نتعلم كيف نعيش الحياة، ذلك هو فن العيش بالتفلسف في تأثيره العملي على كل أنماط الحياة العقلية والسلوكية، وتنظيم الحياة جسديًا وعقليًا في سبيل تحقيق عيش جيد.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر الأجنبية

1. Arther Schopenhauer. : Studies in Pessimism, Selected and translated by: T.Baily Saunder,M.A,Lonndon. Swan Sonners Chin & Co. Paternnester Squire, 1981.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

2. Baniki konrad(2014); philosophy as therapy- towards a conceptual model, Philosophical Papers, vol 43, Routledge, south Africa.

3. Bellarmine U .Nneji (2013); philosophical counseling, praxis and pedagogy, vol (9).

4. De Deneddia, Miranda de Almedia (2006); Nietzsche and paradox, Translated by: Marks. S. Robert, state university.

5. Duane, Armitage (2017): Heidegger and The Death of God, Between plyo and Nietzsche, palgrave Macmillan University of scranton, U. S. A.

6. Elodie Bonloid and christian (2013): Nietzsche and phenomenology, power, life, subjectivity, Bloomintan and Indiana polis.

7. Laird Addis(2012): Nietzsche' ontology, North and South America, By Transaction Books, putgers university Piscat away, NJ.

8. Kistin Wells(2013): Society Stance Vol 6.
9. Peter Bekowitz(1995): Nietzsche: The Ethics of Immoralist, Harvard University press, Cambridge, Massachussts, London, England.
10. Raymond Anglo Bellioti (2013); Juses or Nietzsche, How we live our lives? value inquiry Books series, Amsterdam, New York.
11. Rebkah peery (2008); Nietzsche, philosopher of perilous perhaps, Algora publishing, Newyork.
12. Simon du Plock, Greg Madison (2014); Existential Analysis: The Journal of society for existential Analysis, published by: The society of existential analysis, B M existential, London.
13. Tracy B. Strong (1988): Friedrich Nietzsche and politics of Trans–figurayion, Expand edition University of California press, Berkely, Loasangles, London.
14. Vannessa Lemm (2015): Art in Nietzsche and Becoming of life, John D. Caputo, series editor, percepectivness in Continental philosophy, fordam University press, New York.
15. Vinode Achary(2014): Nietzsche's Meta– Existentialism, library of Congress Cataloging– in publication Data, walter De Gryter Gmbh, Berlim, Boston.

ثالثاً: المصادر الأجنبية المترجمة للعربية:

١. آرثر شوينهاور (٢٠١٨): فن العيش الحكيم تأملات في الحياة والناس، ترجمة: عبد الله زارو، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط١.
٢. —————: العالم إرادة وتمثلاً، الكتاب الثاني، ترجمة وتقديم وشرح: سعيد توفيق، مراجعة على النص الألماني: فاطمة مسعود، المجلس الأعلى للثقافة.
٣. ————— (١٩٩٤): العالم إرادة وتصوراً، الكتاب الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤. فريدريك نيتشه (١٩٩٣): العلم المرح، ترجمة وتقديم: حسان بورقيه، محمد الناجي، أفريقيا، الشروق، ط١.

٥. _____ (٢٠٠٢): إنسان مفرط في إنسانيته، كتاب العقول الحرة، ج ١، ترجمة: محمد ناجي، بيروت، لبنان.
٦. _____ (٢٠٠٣): ما وراء الخير والشر، تباشير فلسفة المستقبل، ترجمة: جيزيلا فالور حجار، مراجعة: موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ٢.
٧. _____ (٢٠١١): هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، هلا للنشر والتوزيع، ط ١.
٨. _____ (١٩٤٨): هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، ج ٢، المكتبة الأهلية، بيروت.
٩. _____ (١٩٨٣): أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة: حسن قبيصي، ط ٢.
١٠. _____ (٢٠١٦): شوبنهاور مريباً، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ترجمة: قحطان جاسم، مكتبة بغداد، ط ١.
- رابعاً: المراجع العربية:**
١١. إرفين د. يالوم (٢٠١٨): علاج شوبنهاور، ترجمة: خالد الجبيلي. رواية، مكتبة الجمل، ط ١، بغداد، بيروت.
١٢. آلان دوبوتون: عزاءات الفلسفة، "كيف تساعدنا الفلسفة في الحياة"، ترجمة: يزن الحاج، دار التنوير.
١٣. جاك شورون (١٩٧٨): الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، يناير.
١٤. جينيفر رانتر (٢٠٢٢)، روزنهاجن: نيتشه الأمريكي، ترجمة: حنين يعقوب، ط ١، دار بغدادية.
١٥. رضا كمال خلاف: الفلسفة العلاجية والمشورة الفلسفية، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية.
١٦. سعيد ناشيد (٢٠١٨): التداوي بالفلسفة، ط ١، دار التنوير.
١٧. _____ (٢٠١٩): الطمأنينة الفلسفية، دار التنوير.
١٨. صفاء عبد السلام جعفر (٢٠٠١): محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية.
١٩. فؤاد زكريا (١٩٩٦): نيتشه، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف.
٢٠. مصطفى النشار (٢٠١٠): العلاج بالفلسفة.. بحوث ومقالات في الفلسفة التطبيقية، وفلسفة الفعل، منتدى سور الأزيكية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢١. وفيق غريزي (٢٠٠٨): شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

